


# مُنكِرو السُّنَّةِ

# المذهبُ الضَّالُّ عن القرآن

د. هيثم طلعت




الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هاديًا ومبشِّرًا ونذيرًا، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصَح الأمَّةَ، فجزاه اللهُ خيرَ ما جزى نبيًّا من أنبيائه، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى صحابته وآل بيته، وعلى من أحبهم إلى يوم الدين.

**أما بعدُ**:

## ١- ما هو فكر التنوير؟

ج: التنوير هو حركة عالمية ظهرت في الأساس للحرب على الدين، أو بالأدق: لتحييد الدين جانبًا.

فهدف التنوير هو: إبعادُ الدين عن المجتمع.

وقد قامت هذه الحركة بهذا الأمر في أوروبا قبل قرنين من الزمان؛ ولذلك لم تمضِ عقود قليلة حتى تحوَّلت أوروبا للإلحاد.

وقد ظهَرت مؤخرًا نفس هذه الحركة بالأهداف نفسها في عالمنا الإسلامي.

**فهدف حركة التنوير**: إزاحة وإبعاد الدين عن حياة الناس.

وفي الواقع ففكرة التنوير تختلف جذريًّا عن فكرة الإلحاد، وإنْ كان كلاهما يهدف لمشروع كفري يبدأ بخفوت التسليم للنص الشرعي في قلب الشباب، وينتهي بضياع الإيمان ومداهنة ومعاقرة أي إلحاد.

لكن تظلُّ السمة المميِّزة لمشروع دعاة التنوير ليست إلحاد الناس ذاك الإلحاد المادي، وإنما: لا مانع أنْ يظل الناس مسلمين، لكن يصير إسلامهم إسلامًا شكليًّا.

فلا يأخذ الناس من الإسلام إلا بعض المعاني الأخلاقية، وبعض الجماليات في المعاملات، لكن يصبح الدين في الأخير مفرغًا تمامًا من محتواه.

فيتحوَّل الدين إلى مجرد طقوس تُؤدَّى!

والهدف الأساسي من حركة التنوير هو أن يصبح الدين تابعًا لثقافة العصر السائدة، ولا يُظهِر أية ممانعة للقيم السائدة مهما كان انفساخها أو انحلالها أو تميعها.

فحركة التنوير تريد دينًا لا يمانع الشيوعية حين ظهرت في القرن الماضي، ولا يمانع ليبرالية القرن الجديد، ولا يمانع أية فكرة مستقبلة يراها الناس.

وبهذه الصورة فالإسلام يُمثّل مشكلة كبيرة لحركة التنوير؛ لأنَّ الإسلام الذي أنزله الله على نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بالحق، هذا

الإسلام يدخل في كل كبيرة وصغيرة في حياة الإنسان، ولا طريق فيه لمداهنة الباطل أو الفساد، ولا يقبل أية صورة من صور الإلحاد.

ولذلك فهذا الإسلام عند حركة التنوير مرفوض مرفوض مرفوض.

فهم يريدون أُمةً من الناس لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا.

وقد أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عن حال الناس في آخر الزمان، وأنَّ هذا سيصير حالهم فعلًا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يأخُذَ اللهُ شريطتَه من أهلِ الأرضِ فيبقى فيها عَجاجةٌ لا يعرِفونَ معروفًا ولا يُنكِرونَ مُنكرًا**»[1].

فدعاة التنوير يريدون التعجيل بهذه المرحلة.

يريدون التعجيل بتدجين هذه الأمة بالكامل حتى تفقد أية مقاومة مقدسة، وتفقد الغيرة على أي ثابت من ثوابت الشريعة.

يريدون أن تفقد الأمة استعلاءها بإيمانها، فيصير المسلمون: «**حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ والشَّعِيرِ، لا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شيئًا**»[2].

وعلى أمثال هؤلاء تقوم الساعة.

---

(١) مسند أحمد، م١١ ص ١٦١، درجة الحديث: صحيح.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ والشَّعِيرِ، لا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شيئًا. صحيح البخاري، ح: ٤١٥٦.

فالساعة ستقوم على الذين تم تدجينُهم بالكامل، ممن لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، وبالتالي لا يكون لإيمانهم اعتبار في قلوبهم، ولا ينشغلون بعقيدتهم، ولا يرفعون بها رؤوسهم، فيصيرون أتباعًا لأية قيم سائدة مهما كان شذوذُها أو انحلالُها.

فعلى مثلهم تقوم الساعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وتَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ التَّمْرِ والشَّعِيرِ، لا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شيئًا**»[1].

وأمثال هؤلاء لا تتمعَّر وجوههم غضبًا أمام انتهاك محارم الله، ولا ينشغلون بها أصلًا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ**»[2].

وفي الرواية الأخرى: «**فيهدِمُها حجَرًا حجَرًا، ويَرْمي بها في البحرِ**»[3].

تخيل!

تُهدم الكعبة حجرًا حجرًا، ويُرمي بها في البحر، ولا أحد يعترضُ.

ومَن سيعترض سيكون ضد التنوير.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ١٥٩١... صحيح مسلم، ح:٢٩٠٩.

(٣) عارضة الأحوذي، ابن العربي، م٦ ص٢٥٢، درجة الحديث: صحيح.

فحتى تكون تنويريًّا، تقبَّلْ هدم مقدساتك.

وإياك أن تعتزَّ بدينك.

أو يتمعَّر وجهُك لانتهاك مقدساتك.

هم يريدون هذا النوع من الإسلام، ويسعَون لظهوره.

يريدون إسلامًا عالمانيًّا.

يريدون إسلامًا مُميعًا.

يريدون إسلامًا رخيصًا في قلبك.

يريدون إسلامًا بنكهة البوذية.

فإذا جلست وعملت جلسة الاسترخاء والتأمل الخاصة بك، وأخذت الطاقة الروحية التي تحتاجها، فالآن يمكنك أن تنطلق للعمل.



هذا هو منتهى الدين عندهم.

مجرد استرخاء طقوسي.

يريدون تبويذ الإسلام (تبويذ: تم نحتها من لفظ البوذية).

يريدون إفقاد الإسلام معناه.

ومن العجيب أنَّ مشروع دعاة التنوير بدأ ينتشر في بلادنا الإسلامية، وأصبحت هناك برامج تُنكر الأحاديث النبوية علنًا، وبرامج ثانية تدَّعي تنقيح كتب التراث، وثالثة تدَّعي تجديد الخطاب الديني، وطبعًا هناك تجديد مطلوب للخطاب الديني سنتحدَّث عنه فيما بعد، لكن مشروع حركة التنوير ليس هدفه تجديد الخطاب الديني، وإنما هدفه إسقاط قيمة الدين من قلب الشاب المسلم والفتاة المسلمة، فهم يَعمدون إلى إسقاط تسليمنا للنص الشرعي بالهجوم على السُّنة النبوية، والسخرية من سلف هذه الأمة، وتأويل القرآن وَفْق أهوائهم.

**إذن فغاية حركة التنوير هي**: تأويلُ النص الشرعي بإخراجه عن معناه وعن مراد الشارع منه حتى يتوافق مع الثقافة التي يريدونها، فيتقبَّل المسلم أية قيم سائدة مهما كان تفسُّخُها.

إذن فالهجوم على السُّنة النبوية، والهجوم على منهج العلم الحديثي في جمع الحديث النبوي، وازدراء علماء المسلمين كالبخاري، والهجوم على سلف هذه الأُمة، ونقد التراث، كل هذا حتى يتسنَّى في الأخير لدعاة التنوير أنْ يُؤولوا النص الشرعي بإخراجه عن معناه وعن مراد الله منه؛ فيتوافق مع أي تصور دنيوي يريدون، وبالتالي لن تكون هناك مُمانَعة مِن تَقبُّل أية ثقافة وافدة، ولو كانت شذوذًا أو إلحادًا أو زنًا بالتراضي.

ويبدأ مشروع دعاة التنوير دائمًا بالهجوم على أهل العلم وحَمَلة الشريعة، والاستخفاف بسلف هذه الأمة، فإذا سقطت قيمة أهل العلم تسنَّى لهم في مرحلة

تالية تأويل النص الشرعي بإخراجه عن سياقه، وعن معناه، وعن مدلوله لموافقة أي هوًى يريدون.

ويمكنهم في هذه المرحلة تضعيف ما ثبت من أحاديث؛ لأن الذين نقلوا هذه الأحاديث هم العلماء الذي تم تجريحُهم منذ قليل.

وسيقوم دعاة التنوير بإنكار ما أجمعت عليه الأمة، وسيُهاجمون ثوابت هذا الدين ولا أحد يعترض؛ لأن الذين قرَّروا هذه الثوابت هم العلماء الذين سقطت قيمتهم في قلب الشاب المسلم والفتاة المسلمة منذ قليل.

إذن الغاية في الأخير هي العبثُ في دين الله بدون ضابط، وليس هناك أهل علم ترجع إليهم فكلهم مُجرَّحون.

فإذا سقط أهل العلم في نظر الناس، هنا سيقوم التنويري بتفسير الدين وَفْق ما يرى.

وساعتها من البديهي أن يضيع الدين على أيديهم، وتضيع العقيدة.

ودائمًا يدخل التنويري على المسلم بطريقةٍ لطيفةٍ فيقول له: أنا مشروعي تنقية التراث، وتنقيح الكتب السابقة، فهدفي أن ننتشل المسلمين من الجهل، وأن ننهض، وأنا أريد أن أقدّم الإسلام للغرب دون أن يأخذوا علينا شيئًا، فأنا أريد أن أُجدد الخطاب الديني.

وهذا كلام ظاهره جميل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:٤].

لكنه بعد قليل!

سيُنكر الأحاديث النبوية.

لأن هذه الأحاديث لا يقبلها عقل المواطن الغربي اليوم.

وبعدها: سيُكَذِّب بثوابت هذه الشريعة، بدعوى تقديم الإسلام للغرب.

ولا مانع أن يُسقط أمورًا مُتفقًا عليها حتى يُنقي الدين بزعمه، ويُنقِّح كتب التراث.

إذن فالتنويري أثناء حديثك معه ودون أن تدري: يزرع لك قنابل موقوتة في قلبك، وفي عقيدتك، وفي أصل تسليمك لشرع الله، وفي أصل اعتزازك بثوابت الدين.

فهو يزرع هذه القنابل بمنتهى الدهاء.

وبعد أيام أو شهور تعود إلى نفسك، فتجد الشبهات قد اجتاحت حياتَك، إن لم تكن ألحدتَ.

فالتنويري قام بتشكيكك في أصول وثوابت شرعية لم تختلف عليها الأُمَّة عبر كل تاريخها.

واستطاع أن يهُزَّ ثقتك في أهل العلم، وعليه قام بتكذيب ما صحَّ من دين الله.

فتبدأ تفقد خشوعك في صلاتِك، ثم تفقد لذة الطاعة، ثم قد تفقد الصلاة والإيمان وكل شيء!

يقول التنويري حسن حنفي معترفًا بكل هذا: «التنوير هو شُغل حرب عصابات، ازرع قنابل موقوتة في أماكن متعددة، وستنفجر»[(١)].

التنوير شغل حرب عصابات!

ازرع الشبهات بحجة تنقيح التراث، وتنقية الخطاب الديني.

وأنكِر الحديث النبوي الصحيح، وأنكِر المعلوم من الدين بالضرورة، بحُجة الرغبة في نهضة هذه الأمة.

وبعد أن تتمَّ زراعة قنابل الشبهات في قلبك، وفي إيمانك، سيقول لك: أنا أكره الملحدين، وأخاف على الإسلام، وأحترم النبيَّ محمد.

فالتنويري يعبث بإيمانك وهو يرتدي عباءة المسلم؛ ولذلك هو أخطر بألف مرة من الملحد الصريح؛ لأنه يعمل من داخل المنظومة الإسلامية لتوليد الطرح الإلحادي.

فهو يغزل الإلحاد في مصنع الإسلام.

وهذا من أخطر ما يكون.

هذا أخطر ما يهدد الشباب الذين لا يفهمون هذا المكر الذي يُحاك لهم، ويُحاك لدينهم ولعقيدتهم، ولأصل تسليمهم بشرع الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) جريدة أخبار الأدب بتاريخ: ٢٨-١٢-٢٠٠٣

نقلًا عن: أسلمة الإلحاد، ذ. عبد الله الشتوي، ص٢٥.

فالتنويري يعمل على تأويل النص الشرعي من داخل المنظومة الإسلامية حتى يتوافق هذا التأويل مع أي هوًى.

والتنويري لن يقول لك إنَّ الخمر حلال.

هو سيقوم بتأويل النص الشرعي حتى يجعل الخمر حلالًا.

وهذا هو الفرق بين التنويري والملحد:

فالملحد يقول: الخمر لا مشكلة فيها.

أما التنويري فيقول: سأقوم بتأويل النص الشرعي حتى أثبت لك أن الخمر حلالٌ.

فالتنويري يعمل من داخل المنظومة الإسلامية؛ لتوليد الطرح الإلحادي الكفري.

وبطبيعة الحال فالتنويري يكفر بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويُنكر ما أجمعت عليه الأُمَّة عبر كل تاريخها، ويجعل كل ما اتُفق عليه مختلفًا عليه.

ويُبرِّر لإنكاره ثوابت الشريعة بأنَّ هذه الثوابت مسائلُ عفا عليها الزمن... فهو يجعل بديهيات شرعية أمورًا فيها نظر بأي حجة، وبأي طريق.

إذن فهدف التنويري في الأخير تفريغ الدين من أصوله وثوابته، وجَعْل المسلمين: حُفَالَةً كَحُفَالَةِ التَّمْرِ والشَّعِيرِ بلا وزنٍ ولا قيمةٍ.

حين أخبر القرآن الكريم في أول سورة البقرة عن الكافرين تحدَّث عنهم في آيتَينِ اثنتَينِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٦، ٧].

ثم تأتي بعد ذلك ثلاث عشرة آية في بيان أساليب المنافقين، وبيان حيلهم ومكرهم وخدعهم التي يدخلون بها على المسلمين.

فالمنافقون الذين يَظهرون بمظهر الذي يريد الإصلاح، وتنقيح التراث، وتقديم الإسلام للغرب، ونهضة الأمة، هم في حقيقة الأمر يريدون إفسادًا في الأرض... يريدون أن يُضيعوا على الناس آخرتهم... يريدون محاربة دين الله وإضلال المسلمين وفتنتهم عن دينهم بكل السبل.

قال الله -عزَّ وجلَّ- واصفًا حال هؤلاء: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨].

لا عَلاقة لهم بالإيمان.

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة:٩].

يخادعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم فقط.

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:١٠].

في قلوبهم شك، لكذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما يرون من دلائل هذا الدين، فزادهم الله شكًّا، ولهم عذاب شديد.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١].

وإذا نُهوا عن الإفساد قالوا: نحن مصلحون... نحن نريد تنقيح كتب التراث... نحن نريد تنوير هذه الأمة.

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٢].

هم أصحاب الإفساد.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٣].

وإذا قيل لهم: آمِنوا كما آمن سلف هذه الأمة... آمِنوا بما أجمعت عليه الأمة، قالوا أنؤمنُ كإيمان خِفافِ العقول؟

والحقُّ أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة:١٤].

وإذا التقوا بالمؤمنين قالوا: نحن مثلكم مؤمنون.

وإذا انصرفوا عن المؤمنين إلى حزبهم قالوا: إنا معكم.

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥].

الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، فيُملي لهم؛ ليتمادَوا في ضلالهم وطغيانهم، فيبقون حائرين تائهين[(١)].

ثلاث عشرة آية من أول سورة البقرة تكشف أساليب هؤلاء الذي يسرقون آخرة الناس باسم التنوير.

فهؤلاء دعاة على أبواب جهنم من بني جلدتنا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أصله في الصحيحين: **«تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتِنا، فإِنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ، فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ»**[(٢)].

فالزمْ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم: الزْم ما اتَّفقت عليه هذه الأمة... الزمْ دين الله وشريعته... الزمِ المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة... الزمِ الدعاة الصادقين إلى الله في زمنك.

فإِنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ، فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ: اعتزل الدنيا كلَّها المهم ألَّا تُفتن عن دينك.

---

(١) التفسير الميسر.

(٢) صحيح الجامع، ح: ٢٩٩٤.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ: يترك ما اتفقت عليه هذه الأمة، فيُنكر السُّنة، ويُنكر الإجماع، ويَتبع كل هوًى، فهذا ممن يتبع غير سبيل المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فَرَّقُوا دِينَهُمْ: جعلوا ما اتفقت عليه الأمة مُختلفًا فيه، فهؤلاء لستَ منهم في شيء.

ذاتَ يومٍ ذَكَرَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ شيئًا، فقالَ: ذاكَ عندَ أوانِ ذَهابِ العِلمِ، قال راوي الحديث زياد بن لبيد: يا رسولَ اللَّهِ، وَكَيفَ يَذهبُ العلمُ، ونحنُ نَقرأُ القرآنَ، ونقرئُهُ أبناءَنا، ويُقرئُهُ أبناؤُنا أبناءَهُم إلى يومِ القيامةِ؟ فقالَ صلى الله عليه وسلم: ثَكِلتكَ أمُّكَ زيادُ، إن كُنتُ لأراكَ مِن أفقَهِ رجلٍ بالمدينةِ، أوليسَ هذِهِ اليَهودُ والنَّصارَى يقرؤونَ التَّوراةَ والإنجيلَ لا يعمَلونَ بشيءٍ مِمَّا فيهِما[١].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، ح: ٣٢٨٨.

يقرؤونَ التَّوراةَ والإنجيلَ لا يعمَلونَ بشيءٍ مِمَّا فيهِما: فليست القضية بأن تقرأ القرآن أو يكون القرآن في بيتك وسيارتك وعلى مكتبك، المهم أن تفهم القرآن فهمًا صحيحًا، وأن تعمل بما فيه، وألَّا تُخرجه عن معناه وسياقِه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر باليوم الذي يذهب فيه العلم، حين يكون القرآن بين أيدينا ونتلوه، لكن لا نعمل بشيءٍ مما فيه.

والله المستعان.

فلا نجاة إلا بالالتزام بما شرع ربُنا، والتسليم للنص الشرعي.

وأنْ تُقصِّر في ألف طاعة خيرٌ من أن تنكر حرفًا مما أجمعت عليه هذه الأُمة، وسار عليه سلف هذه الأمة.

وإياك أن ترى أنَّ فلانًا يُدرك واقع الأمة اليوم؛ ولذلك فهو سيُضطر لإنكار ما أجمعت عليه الأمة؛ لأنَّ الوضع اختلف الآن، أنت بهذا وكأنك تقول: إنَّ الله لا يعلم الغيب، فهو سبحانه أنزل شرعَه في كتابه وسُنة نبيه، وأخبر أنَّ شرعه يُصلِح كل زمان ومكان، ويَصلُحُ لكل زمان ومكان، لكن أنت ترى أنَّ الوضع اختلف الآن، ويجب تغيير ما أجمعت الأمة عليه بحجة تغيُّر الزمن، فهذا إلحاد في دين الله.

قال عمر بن عبد العزيز: «قِفْ حيث وقف القومُ، وقُلْ كما قالوا، واسكُتْ عمَّا سكتوا؛ فإنَّهم عن عِلمٍ وقَفوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا»[(١)].

وإذا رأيتَ هوًى متَّبعًا، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، فعليكَ بخاصَّةِ نفسِكَ، وَدَعْ عنكَ أمرَ العوامِّ[(٢)].

أصلِحْ نفسَك، واتَّقِ ربَّك حتى تلقى الله وأنت كذلك، ولا تشغل نفسَك بمن سقط في هذه الفتن، وأجر الصابر في وقت الفتن عظيمٌ عند الله عزَّ وجلَّ.

أجره بأجر خمسين من الصحابة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم[(٣)].

فهذا الأجر العظيم: لعظمة تلك الفتن، وتزيُّن الدنيا على أشُدها.

فاصبرْ نفسك، والتزمْ بشرع ربك، وحافِظْ على القرآن بتدبُّرٍ.

والزمْ ما كان عليه سلف هذه الأمة.

فلو فعلتَ فقد نجوتَ، وأنعِمْ بأجرك عند ربك.

---

(١) سنن أبي داود، ح: ٤٦١٢.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بَلِ ائْتَمِروا بِالمعروفِ، وتَناهَوا عنِ المُنكرِ، حتى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنْيَا مُؤْثَرَةً، وإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فعلَيكَ بِخاصةِ نفسِكَ ودَعْ العَوامَّ، فإنَّ من ورائِكُم أيَّامًا، الصَّبرُ فِيهِنَّ مِثلُ القَبْضِ على الجَمْرِ، لِلعامِلِ فِيهِنَّ مِثلُ أجْرِ خَمسِينَ رَجُلًا يَعمَلُونَ مِثلَ عَمَلِكُمْ**».

سنن الترمذي، ح:٣٠٥٨، درجة الحديث: حسن غريب.

(٣) المصدر السابق.

نعود لسمات دعاة التنوير:

من سمات دعاة التنوير الذين يتبعون غير سبيل المؤمنين، أنهم دائمًا يؤكدون أنَّ أيَّ إنسان على خُلُقٍ حسنٍ فهو من أهل الجنة -باعتبار أنهم يؤمنون بالجنة أصلًا- حتى ولو كان نصرانيًّا أو يهوديًّا وَرَدَّ على الله وحيه، حتى ولو كان يعبد الأحجار، فطالما أنه مُهذب فهو من أهل الجنة.

فهم يرفعون مقام صاحب الخلق الكريم أيًّا كان دينه، ويعطوه صكًّا بالجنة.

وهذه فكرة خبيثة تُسمَّى الديانة الإنسانوية Humanism وهي تعني تعظيمَ حق الإنسان على حق الله، فلو اعتديت على حق الله في عبادته فلا مشكلة، المهم ألَّا تعتدي على حق الإنسان.

وقد ظهرت الديانة الإنسانوية؛ لأنَّه لا وجود لله في قلوبهم، فهم لا يعنيهم اعتداؤك على الدين، وكفرُك بربك، المهم لا تؤذي إنسانًا.

فلو آذيت إنسانًا فهذا غير مقبول، أما لو أضعت على إنسانٍ آخرته، ونشرت الشبهاتِ بين الناس، وحرَّضتهم على الكفر بالله، فهذه حرية تعبير، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يمنعك.

فتضييع الآخرة الأبدية لا مشكلة فيها؛ لماذا؟ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ابتداءً.

فهذه هي عقيدة الديانة الإنسانوية، والتي تعني الإيمان بالإنسان بديلًا عن الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر.

فالديانة الإنسانوية هي جزء لا يتجزَّأ من حركة التنوير.

وأنا لا أدري كيف يؤمنون بحقوق الإنسان في عالم مادي، ينكرون فيه الخالق والغيب واليوم الآخر؟

كيف لهم الإيمان بالإنسان في عالمٍ كهذا؟

كلمة إنسان كما قلت من قبل هي كلمة ميتافيزيقية أصلًا.

كلمة تستمدُّ معناها من عالمٍ آخر.

فلا يوجد إنسان في العالم المادي الإلحادي.

يوجد في الإلحاد حيوان متطور لا فرق بينه وبين الطفيليات المعوية، كما يقول فرانسيس فوكوياما[1].

أما "إنسان" فلا وجود له في عالم الإلحاد.

فحين يكفر الإنسان بخالقه فإنه يكفر في الوقت نفسه بإنسانيته: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

فمن يرغب عن الدين يسفه نفسه، ويصبح لا فرق بينه وبين الطفيل المعوي.

---

(١) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص٢٥٩ الطبعة الأولى ١٩٩٣ مركز الأهرام للترجمة والنشر.

أيضًا من سمات دعاة التنوير أنهم: يهتمون دائمًا بشخصياتٍ مارقةٍ ظهرت في التاريخ الإسلامي، ويقدمونهم باعتبارهم مفكرين حتى يوهنوا قيمة السلف في قلب الشاب المعاصر.

أيضًا سمة أخرى عند هؤلاء، وهي: إثارة القوميات في كل بلد.

فهم يُشعلون الضغائن بين المسلمين الأمازيغ وإخوانِهم من غير الأمازيغ في المغرب.

ويشعلون الضغائن بين المسلمين الأكراد وإخوانِهم في الشام وهكذا.

هم يجيدون اللعب على ملف العصبيات والقوميات باحترافيةٍ.

أيضًا من سمات دعاة التنوير: التقرُّب جدًّا من الملحدين ومن الخطاب الإلحادي.

فهم دائمًا يمتدحون الملاحدة، ويَعرضون في كثير من القضايا نفس تصوُّراتِهم؛ لأنهم ببساطة منهم.

ومن السمات البارزة عند دعاة التنوير إلى جانب ما سبق: التسامح مع أية فكرة، وأي مذهب، وأي تصوُّر، وأي خرافة، ولو كانت عبادة حشرات، فلا مشكلة عندهم من التسامح مع أكلة لحوم البشر، بل هم يتسامحون مع النازية الجديدة، لكنهم في الوقت نفسه هم أشدُّ الناس عداءً وكراهيةً وبُغضًا وإقصاءً لدعاة المسلمين وعلماء المسلمين وشيوخ المسلمين.

فهم يُبغضون كل ما ينتمي للإسلام، حتى تَشعر من خطابهم أنَّ جهنم ليس فيها إلا علماء السلف، وأن الجنة أغلب مَن فيها ملاحدة.

إذن لا بد للمسلم أن يعرف سمات دعاة التنوير حتى يَحذر منهم؛ لأنهم أصبحوا منتشرين في القنوات والفضائيات ومواقع التواصل.

**فسماتُهم باختصار:**

١- تأويل النص الشرعي بما يخرجه عن معناه، وعن مراد الشرع تمامًا.

٢- إنكار السُّنة النبوية، والهجوم على علم الحديث.

٣- الهجوم على علماء السلف والتنقُّص منهم.

٤- تبني الديانة الإنسانوية، وتقديم حق البشر على حق الله.

٥- إثارة القوميات والنعرات.

٦- الاصطفاف مع الملحدين والحرب على المؤمنين.

التنوير الظلامي ظهر في أوروبا قبل قرنين تقريبًا بالمصطلحات نفسها، والأهداف نفسها، والأسلوب نفسه، وانتهى كما قُلتُ بإلحاد أوروبا، وتمَّت علمنة كل أوجه الحياة.

وكانت البداية هي تهاوُن الناس في التعامل مع دعاة التنوير، فقد استحى الناس من نقد حركة التنوير، وكشف مكرها بدعوى حرية التعبير وحرية الرأي.

فانتشر الإلحاد انتشار النار في الهشيم.

فهذا النوع أخطر من الإلحاد الصريح بألف ألف مرة لو تُرك دون مواجهة مباشرة مع أهم ما يقوم عليه من أفكار، فيجب تفنيد وتعرية وكشف قبح هذا المذهب.

يريد دعاة التنوير في بلادنا أن يعيدوا الكرَّة نفسها التي حصلت في أوروبا.

ولذلك لا بد أن يعلم الناس حقيقة حركة التنوير، ويعلموا خطرها ليس فقط على دينهم، وإنما على دنياهم أيضًا.

فحركات التنوير في أوروبا نشأت في كنفها كل عصابات الإبادة الجماعية.

فالستالينية في الاتحاد السوفيتي كانت تنويرية Stalinist Enlightenment.

والماوية في الصين كانت تنويرية.

والنازية في ألمانيا كانت تنويرية.

Reich Ministry of Public Enlightenment and Propaganda

The **Reich Ministry of Public Enlightenment and Propaganda** (German: *Reichsministerium für Volksaufklärung und Propaganda*, RMVP or *Propagandaministerium*), Ministry of Propaganda, was a Nazi government agency to enforce Nazi ideology.

**Reich Ministry of Public Enlightenment and Propaganda**



فمصطلح التنوير يقبل أية فكرة إبادية، وسيُسمي مشروع الإبادة الذي يقوم به مشروعًا تنويريًّا!

وهتلر على سبيل المثال كان يُسمِّي إبادة الأعراق البشرية الأدنى بـ: "دُش تطهير الألمان من الأوساخ العالقة بهم".

باعتبار أن الأعراق الأدنى أوساخٌ عالقة بالعرق الآري الألماني.

## Nazi concentration camps

From 1933 to 1945, Nazi Germany operated more than a thousand concentration camps[a] on its own territory and in parts of German-occupied Europe.

The first camps were established in March 1933 immediately after Adolf Hitler became Chancellor of Germany. Following the Night of Long Knives in 1934, the concentration camps were run exclusively by the SS via the Concentration Camps Inspectorate and later the SS Main Economic and Administrative Office. Initially, most prisoners were members of the Communist Party of Germany, but as time went on different groups were arrested, including "habitual criminals", "asocials", and Jews. After the beginning of World War II, people from German-occupied Europe were imprisoned in the concentration camps. Following Allied military victories, the camps were gradually liberated in 1944 and 1945, although hundreds of thousands of prisoners died in the death marches.

More than 1,000 concentration camps (including subcamps) were established during the history of Nazi Germany and around 1.65 million people were registered prisoners in the camps at one point. Around a million died during their imprisonment. Many of the former camps have been turned into museums commemorating the victims of the Nazi regime.

فإبادة المعاقين والضعفاء والأعراق البشرية الأدنى -أدنى من وجهة نظر إلحادية- هذا شيء طبيعي في الفلسفة التنويرية.

لأن الفلسفة التنويرية في الأساس فلسفة إلحادية تؤمن بالتطوُّر والمادية، وأنَّ الإنسان مجرد خبط عشواء في الطبيعة بلا قيمة، وبالتالي فلا عزاء للضعفاء ولا المرضى ولا المعاقين.

لقد أدَّى التنوير إلى وصول أوروبا إلى العبثية والعدمية، ووصل الناس إلى أعلى معدلات انتحار في تاريخ أوروبا، وتاريخ العالم، وفقد الناس معنى الحياة.

ويُراد لنا اليوم أنْ نسير وَفْق نفس هذه الأجندة التنويرية.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢].

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]

### ٢- ما هو التنوير المطلوب؟

ج: هناك تنوير حقيقي في هذا العالم في مقابل مشروع التنوير الظلامي الذي يقوده دعاة التنوير، أَلَا وهو تنوير الوحي الإلهي.

فنور الشرع الذي رفع اللهُ به قدْر الإنسان، وقدَّر به أنَّ الإنسان في مركز هذا العالم، وأنه خُلق لحكمة، وأنَّه كريم على الله، هذا هو النور الحقيقي الذي أنار الله به العالم، وصَلُحَ به حال الإنسان.

وهذا هو التنوير الحقيقي الأوحد: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤].

إنه نور الوحي: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨].

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

فلا نور حقيقي ولا تنوير إلا بنور الوحي الإلهي: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

فبدون الوحي الإلهي يعيش الإنسان في عمًى كامل: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

فنور الوحي هو طريق الهداية الأوحد، والنور الأوحد للإنسانية.

وحتى نصل لنور الوحي نحتاج إلى تجديد حقيقي للدين، لكنه قطعًا ليس التجديد الإلحادي التنويري، وإنما نحتاج للتجديد الذي حضَّ عليه النبي صلى

الله عليه وسلم، والذي يكون بتنقية الدين وتصفيته عما اعتراه وشابه من الاجتهادات الخاطئة، وجهالات العوام، وإعادته للنقاء الأول.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من التجديد فقال: «**إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يُجدِّدُ لها دينَها**»[١].

فعلى رأس كل مائة سنةٍ سيأتي مَن يُعيد نقاء الدين على النقاء الأول، وهو النقاء الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته.

وهذا هو التجديد الذي أخرج الله به من الهباء أمةً عظيمةً، واستبقى على القرون جيلًا من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ لولا هذا الوحي النقي.

ولن تصل الأمة لنهضتها وصلاح حالها إلا بعودتها لدين ربها، ونهج سلف هذه الأمة وعقيدتهم، فلن يَصلُحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها، كما قال الإمام مالك رحمه الله.

قال الشاطبي في الاعتصام: "ولن يأتي آخِرُ هذه الأمة بأهْدى ممن كان عليها أولها"[٢].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام:٩٠].

(١) السلسلة الصحيحة، ح: ٥٩٩.

(٢) الاعتصام، الشاطبي، م١ ص٢٠٥.

## ٣- مَن هم منكرو السُّنة؟

ج: منكرو الأحاديث... منكرو المصدر الثاني للتشريع، هم فئة ازداد ظهورها مؤخرًا، وأغلبهم من تحت عباءة التنوير.

وقد خرجوا على الأمة الإسلامية بقولهم: نحن نكفر ببعض سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كلِّها.

هذا مُلخَّص فكرة هذه الطائفة.

وهم مختلفون فيما بينهم: فبعضُهم يكفر بكل الأحاديث، وكل الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وثانٍ يكفر بأحاديث الآحاد، ويؤمن بالمتواتر.

وثالثٌ يكفُرُ بالسُّنة القولية للنبي صلى الله عليه وسلم، ويؤمن بالسُّنة الفعلية.

لكن في الجملة أغلب السُّنة آحاد، وأغلب السُّنة قولية، ففي الأخير هم يكفرون بأغلب الشريعة... يكفرون بما لا حصر له من المعلوم من دين الله بالضرورة.

وبعض منكري السُّنة يُسمون أنفسهم بـ: "القرآنيون".

وهم أبعدُ الناس عن القرآن، فلو كانوا قرآنيين حقًّا لما أنكروا ما أوجب الله اتباعه في القرآن من سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع سبيل المؤمنين، وضرورة التسليم لدين الله قرآنًا وسُنةً.

فقد أجمعت الأمة على وجوب العمل بالسُّنة، وأجمعت على اعتبارها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

والسنة محفوظة كالقرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

قال ابن حزم -رحمه الله: "ودعوى أنَّ الذِّكرَ المحفوظَ هو القرآنُ وحدهُ، هذه دعوى كاذبة، وتخصيصٌ بلا دليل، فالذِّكر هو: اسمٌ واقعٌ على كل ما أنزل الله على نبيه من قرآنٍ أو سُنةٍ"[١].

وقال -رحمه الله: "ولو أنَّ امرأً قال: لا نأخذ إلَّا ما وجدنا في القرآن لكان كافرًا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلَّا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأُخرى عند الفجر، وقائل هذا كافرٌ مُشركٌ"[٢].

ومن الغريب أنَّ منكري السنة هم من أجهل الناس بالشريعة، وحين ظهرت الفرق الضالَّة كالخوارج والجهمية وغيرهِم كان فيهم مَن درس الشريعة جيدًا، لكنهم كانوا يتأولون النصوص على غير وجهها فضلُّوا، أما منكرو السنة فلا يعرفون شيئًا في علوم الشريعة، فتراهم كلهم كلهم كلهم بلا استثناءٍ واحدٍ ليسوا علماء حديث، وليسوا علماء شريعة.

فهم بعيدون كل البعد عن ذلك.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، م١ ص١١٨.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، م٢ ص٢٠٨.

وتراهم دائمًا يستخدمون كلمات براقة مثل: "البحث الأكاديمي" و "احترام العقل" و "البحث الحر" و "نهضة الأمة" و " التخلص من الجهل" و "التنوير".

مصطلحات مُستهلَكة لا يملكون منها شيئًا، ولا يرغبون بشيءٍ مما فيها.

منتهى ما يفعله منكرو السنة أنهم ينشرون شبهات سطحية مكررة عن السنة، ينقلونها عن المستشرقين... ينقلونها عن أعداء الإسلام.

وإنكار السُّنة هو قنطرة الإلحاد الأولى بلا منازع.

وأغلب مَن انتهى به الحال إلى الإلحاد والمروق من الإسلام كانت بدايته أنَّه أنكر بعض الأحاديث الصحيحة، وقدَّم الهوى العقلي عليها... قدَّم النظرة الغربية على بعض الأحاديث الصحيحة... قدَّم تصوُّرات تَوهَّمها على السنة، فانتهى به الحال إلى الطعن في الحديث والسُّنة والتراث وكتب الفقهاء، ثم قام بتأويل القرآن تأويلًا يخرجه عن معناه؛ ليوافق هذه الأهواء فكانت نهايته الإلحاد.

فهذا خط سير طبيعي ومتوقع.

والأغرب من هذا والذي يبين خطورة إنكار السنة أنَّ هناك فئةً من الملاحدة استغلَّت هذه البوابة، بوابة إنكار السنة فدخلوا منها وفرَّخوا لهم فيها أتباعًا.

فالملحد يَظهر بصورة منكر السُّنة، لكنَّه بعد ذلك سيستخدم هذا المدخل لنشر الإلحاد في الدين.

فإذا تم إنكار السنة لن تستطيع أن تواجه أيَّ إلحادٍ في دين الله.

وهذا بالضبط المشروع التنويري، فالتنويري يتزعم إنكار السُّنة لكن هدفه الإلحاد في دين الله.

وحين يتم إنكار السنة يُصبح النص القرآني عُرضةً لأي تأويلٍ وفق أي هوًى، فلا حديث نبوي يعصم عن الفهم الخاطئ للقرآن، ولا إجماع يعود إليه منكر السُّنة؛ ليفهم مراد النص الشرعي؛ لأنه لا يؤمن بالإجماع، ولا فهم لسلف هذه الأمة ينصلح به نظره في مراد الشرع.

فالنتيجة الأخيرة هي: العبث في دين الله كما يريدون.

فغاية الملحد التنويري الذي يدعي أنه فقط منكر للسنة هي أن: يُضعف تسليمَك للنص الشرعي، فيجعلك تشكُّ في معاني القرآن، فتبدأ في تقبُّل الإلحاد شيئًا فشيئًا.

وإنكار السنة في الواقع يعني التطاول على قدسية النبي صلى الله عليه وسلم حيث يتمُّ رد كل حديث نبوي، وبالتالي تضعف حُرمة هذا الدين إلى أن يتلاشى بالكلية من القلب مع الوقت.

فإذا ضاعت السُّنة، وأصبح كل ما يَرِدُ على ذهنك من معاني القرآن قد يكون المعنى بخلافه، فمن الطبيعي أن تضيع قيمة النص، وبالتالي يفقد المسلمُ هيبةَ النص الشرعي، ومن ثَم يفقد التسليمَ لظاهر النص، فماذا نتوقَّع بعد هذا إلا الانسلاخ الكامل من الدين والجري خلف غرور الإلحاد الذي يغازل الإنسان مع كل شهوة.

فما أن سَمَحَ نُفاة السُّنة لأنفسهم بالتطاول على حديث للنبي صلى الله عليه وسلم، أجمع المسلمون عبر القرون على قبوله والعمل به، إلا وقد وضعوا أولى خطوات التمرُّد على قداسة وعِظم قدر النبوة.

فهم يستحقُّون أن يزدادوا بُعدًا عن دين الله، وأن يزداد فتنةً.

ومشروع منكري السنة متداخلٌ بطبيعة الحال مع مشروع دعاة التنوير، حيث يبدأ منكرو السنة برمي علماء السلف بالجهل أو التزوير أو التبعية لمصالحهم الشخصية، ورمي الدعاة المسلمين بالجمود والدروشة، وهذه أولى خطوات زراعة الشك.

ويقومون بالتوازي بتضخيم صنم القيم الغربية، وتأول نصوص القرآن بحيث تتفق مع صنم هذه القيم.

فمَن يفعل ذلك تحديدًا هم تنويريون بزي منكري السُّنة.

وما هي النتيجة لمن يتَّبعهم؟

لن يبقى من شيء إلا غرور الإلحاد.

ففكرة منكري السنة من التنويريين تقوم على: جعل الدين في قفص الاتهام، وحتى يستطيع الدين أن ينجو من هذه التهم فعليه أن يضع التأويلات التي يتفق بها مع أي هوًى سائد، وإلا ما خرج من قفص الاتهام.

وأول طريق لرفع التهمة عن الدين هو إنكار النصوص.

فيتم إنكار الحديث وتأويل القرآن.

فيُصبح الدين عند منكري السنة مطالَبًا باتباع أية ثقافة سائدة مهما كان انحلالها، وليس أن يقوم الدين بتعديل هذه الثقافة وتعبيد الناس لرب العالمين المليك المقتدر.

بل إنَّ الدين ينزل من السماء، ويأتي النبي، وينزل الشرع، حتى يتوافق مع أية ثقافة.

إذا كان الأمر بهذه الصورة، فما فائدة الدين إذن؟

إذا كان الدين في الأخير مجرد تابع لأي ثقافة، فما قيمته، وما الغاية منه ابتداءً؟

تقديمُ دينِ الله في القلب على أية ثقافة مهما كانت... هذه أولى عرى الإيمان وليس وراءها مثقالُ حبةِ خردلٍ من إيمان.

وإذا رأى إنسان أنَّ أية ثقافة أفضل من الإسلام، وتشريع الإسلام، فهذه ردَّة لا يختلف فيها مسلمانِ.

ودين الله سيبقى شامخًا، والسُّنةُ المطهرة ستبقى شامخة محفوظة بحفظ الله إلى قيام الساعة محفوظة كالقرآن.

فالسُّنة هي الشارحة للقرآن، والمبيِّنة للقرآن، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في العديد من الآيات: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٩].

فقد تكفَّل الله ببيان القرآن، ولا يمكن تطبيق القرآن تطبيقًا صحيحًا، ولا يمكن بيانه إلا بالسُنَّة؛ لذلك ستبقى السنة محفوظة كالقرآن.

فلا يمكن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت إلا بالسُنَّة.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ: بالسُّنة.

فبيان القرآن إنما يكون بالسُّنة.

والصحابة -رضي الله عنه- هم أقربُ الناس للقرآن والسنة، وهم الذين شهدوا تنزُّل القرآن والسُّنة، وصحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وجاهدوا معه، وزكَّاهم القرآن الكريم.

والصحابة أيضًا هم أعلم الناسِ بلغةِ القرآن، ومعاني القرآن؛ لذلك كان فهمهم للقرآن والسُّنة مُقدَّم على غيرهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧].

فأصلح إيمانٍ، وأنقى إيمانٍ، وأعلم إيمانٍ بعد الأنبياء هو إيمان الصحابة رضي الله عنهم.

وهو الإيمان الأقرب لمعاني القرآن، وتطبيق القرآن؛ لذلك كان منهج أهل الحديث هو الإيمان بالقرآن والسُّنة بفهم سلف هذه الأمة، وهو المنهج المعصوم... المنهج الذي أجمع أهل السنة والجماعة على الأخذ به.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً، قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أَنا علَيهِ وأَصحابي**»[1].

فإيمان الصحابة وطريقِهم هو طريق النجاة، يكفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[2].

فقرْنُ الصحابة هو أفضل قرنٍ إيمانًا وعملًا وفهمًا للدين.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي**»[3].

فالصحابة: صمام أمانٍ لهذه الأُمَّة، وبهم تنحسم البدع والضلالات.

---

(١) صحيح الترمذي، ح: ٢٦٤١.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٦٦٩٥.

(٣) صحيح مسلم، ح: ٢٥٣١.

### ٤- ما هي منزلة السُّنة في الإسلام؟

ج: السُّنة سُنة قولية، وسُنة فعلية، وسُنة تقريرية.

السُّنة القولية هي: الأحاديث التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف الأغراض والمناسبات، مثل قوله: صلى الله عليه وسلم: «**إنما الأعمال بالنيات**»[(١)].

والسُّنة الفعلية هي: الأعمال التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم، مثل: أداء الصلاة، وأداء شعائر الحج، وقضائه، وغير ذلك.

**والسُّنة التقريرية هي**: أن يُقِرَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمرًا حصل أمامه، أو في عصره وعَلِم به.

واتباع السُّنة هو عقيدة أهل السنة؛ ولذلك نحن نُسمى: «أهل السنة والجماعة».

لأننا أَتباع السُّنة.

في المقابل نُفاة السنة هم ليسوا بالبداهة من أهل السنة؛ لأنهم غير مؤمنين بالسنة ابتداءً، فكيف يكونون من أهل السنة.

وهم أيضًا خالفوا جماعة المسلمين بإنكارهم السُّنة.

فهم ليسوا من أهل السنة ولا الجماعة.

والسُّنة هي جوهر الإسلام كالقرآن.

---

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٤... وصحيح مسلم، ح: ١٩٠٧.

ولا يُطبَّق القرآن إلا بالسُّنة.

فالسُّنة مبيِّنة للقرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣].

فتأتي السُّنة لتُبين لنا كيف نُقيم الصلاة، وما هي صفة الصلاة، وما عددُ الركعات، وكيفية السجود، وأذكار الصلاة، وعدد الصلوات.

فالقرآن في قول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لا يُطبَّق إلا بالسُّنة، فلا تُقام الصلاة، ولا يُعرف ما معنى إقامة الصلاة إلا بالسنة، فالسُّنة مُبينة للقرآن.

ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم صلُّوا كما في القرآن، وإنما قال: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي**»[1].

إذن فالسُّنة تبين كيف نُقيم الصلاة، وبالتالي فهي وحيٌ إلهيٌّ؛ لأنه لا يمكن إقامة الصلاة إلا بتطبيق الكيفية التي صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم.

**والسُّنة أيضًا مُخصِّصة للقرآن:**

قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ ﴾ [المائدة:٣].

لكن تأتي السُّنة لتبيح من الميتة: السمك.

فأكل السمك الميت حلالٌ بالسُّنة.

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٦٠٠٨... صحيح مسلم، ح: ٦٧٤.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أُحلَّت لَكُم ميتتانِ ودَمانِ، فأمَّا الميتَتانِ: فالحوتُ والجرادُ، وأمَّا الدَّمانِ: فالكبِدُ والطحالُ**»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم في البحر: «**هو الطَّهورُ ماؤهُ، الحلُّ مَيتتُه**»[2].

فالسُّنة تُخصص العام.

العامُّ هو: تحريم الميتة.

لكن مِن هذا العام تمَّ تخصيص: السمك.

وهذا التخصيص بالسُّنة.

وهنا لنا أن نسأل نفاة السنة: هل تُحرِّمونَ أكْلَ السمك؟

**أيضًا السُّنة تُقيِّد المُطلَقَ:**

قال الله تعالى في حد السرقة: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة:٣٨].

لكن كيف يكون القطع، وما هو نِصاب السرقة الذي تُقطع به اليد؟

كل هذا تُحدده السُّنة.

فالسنة تُقيد المطلق في القرآن.

**أيضًا السُّنة لها تشريعٌ مستقلٌّ:**

مثال على ذلك: تحريم الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، ح: ٣٣١٤.

(٢) صحيح سنن الترمذي، ح: ٦٩.

فتحريم الجمع بين المرأة وخالتها والمرأة وعمتها إنما ورد في السُّنة ولم يرد في القرآن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُجْمَعُ بيْنَ المَرْأَةِ وعَمَّتِها، ولا بيْنَ المَرْأَةِ وخالَتِها**»[1].

لكل ما سبق، فالحاجة للسُّنة كالحاجة للقرآن، والاستغناء عن السُّنة كالاستغناء عن القرآن.

لذلك كان من بديهيات الإسلام: الأمر باتباع السُّنة؛ لأنها الإسلام!

وقد وردت في هذا آيات كثيرة منها:

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٤].

آيَاتِ اللَّـهِ: هي القرآن.

وَالْحِكْمَةِ: هي السُّنة باتفاق المفسرين.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء:١١٣].

وَالْحِكْمَةُ: هي السُّنة النبوية.

(١) صحيح البخاري، ح: ٥١٠٩.

قال ابن القيم -رحمه الله: «الإيمان بالسُّنة هذا أصل مُتَّفَق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا مَن ليس منهم»[(١)].

فهذا شيء بديهيٌّ.

قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ: ضرورة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا).

فهل طاعته تكون بإنكار كل أمر ونهي صادر عنه؟

هل هذه طاعة له؟

وقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

فقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- باتباع كل ما يصدُرُ عن النبي صلى الله عليه وسلم دون تفريق بين سُنة قولية، وسُنة فعلية، وكل هذه التقسيمات.

---

(١) الروح، ابن القيم، ص ١٠٥.

فكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مُلزِمٌ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

وهذا الالتزام بالسُّنة هو ما فهمته الأمة عبر تاريخها.

في البخاري عَنْ عبدِ اللَّهِ بن مسعود، قالَ: «**لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ والمُوتَشِمَاتِ، والمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّه**».

فَبَلَغَ ذلكَ امْرَأَةً مِن بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقالَتْ: إنَّه بَلَغَنِي عَنْكَ أنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وكَيْتَ، فَقالَ: وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَن لَعَنَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومَن هو في كِتَابِ اللَّهِ؟

فَقالَتْ: لقَدْ قَرَأْتُ ما بيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَما وجَدْتُ فيه ما تَقُولُ، قالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧]؟ قالَتْ: بَلَى، قالَ: فإنَّه قدْ نَهَى عنْهُ[1].

فكل أمر في السُّنة هو أمرٌ في القرآن.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

ما أرسل الله الرسل إلا لتُطاع.

---

(١) صحيح البخاري، ح: ٤٨٨٦.

وانظر للآية التي تليها مباشرةً: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ: وبعد أن يُحكموك (يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) لحُكمك.

وهذه القضية التي حكم فيها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هي قضية الزبير رضي الله عنه، والنبي صلى الله عليه وسلم حكم فيها بحُكمٍ ليس في القرآن، ومع ذلك أخبر القرآن أنَّ: الإنسان لا يُعَدُّ مؤمنًا لو لم يخضع لقضاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقضاؤه وحيٌ من الله واجبُ الاتباع.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

**التسليم التام لأمره صلى الله عليه وسلم.**

وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

إذا كنت ترجو الله واليوم الآخر؛ فاقتدِ برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا يكون الاقتداءُ إلا باتباع سُنته.

قال ربنا -عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

تريد أن يحبك الله؟ إذن اتَّبِعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أخبر الله -عزَّ وجلَّ- أن طاعة الرسول من طاعة الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

وانظر لهذه الآية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩].

الردُّ إلى الله: بالنظر في كتابه.

والردُّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: بالنظر في سُنته[١].

إذن فسُنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي وحي إلهي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم:٣].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا إنِّي أُوتيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ معه**»[٢].

فهو صلى الله عليه وسلم أُوتي الكتاب ومثله معه وهي السُّنة.

فيكون في وجوب العمل بالسنة: ولزوم قبولها كوجوب العمل بالكتاب: ولزوم قبوله كما قال القرطبي[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ**»[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بسُنَّتِي**»[٥].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، م١ ص ١٩٦.

(٢) سنن أبي داود، ح: ٤٦٠٤، درجة الحديث: صحيح.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، م١ ص٤٣.

(٤) صحيح الترغيب، ح: ٤٠.

(٥) صحيح سنن أبي داود، ح: ٤٦٠٧.

وقال صلى الله عليه وسلم لمُعاذٍ -رضي الله عنه: كيفَ تقضي؟ قالَ: بكتابِ اللهِ. قالَ: فإنْ لمْ تجدْ في كتابِ اللهِ. قالَ: فبسُنةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي**»[٢].

وقال: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِه**»[٣].

فإذا أردت الحج، فلن تعرف كيف تحجُّ إلا منه صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[٤].

وهناك نصوصٌ كثيرةٌ في ضرورة اتباع سنته صلى الله عليه وسلم.

وانظر لهذا الحديث المعجز في صحيح سنن أبي داود قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معهُ، لا يُوشِكُ رجُلٌ شبعانٌ على أريكتِهِ يقولُ: عليكُم بِهذَا القُرآنِ، فما وجدتُم فيهِ مِن حَلالٍ فأحلُّوه، وما وَجدتُم فيهِ مِن حرامٍ فحرِّمُوه**»[٥].

رجُلٌ شبعانٌ على أريكتِهِ: كناية عن التَّرَف، وكأنه صلى الله عليه وسلم يُخبر أن بعض المترفين سيظهرون في آخر الزمان لينكروا السُّنة.

---

(١) سنن أبي داود، ح: ٣٥٩٢، درجة الحديث: اختلف في تصحيحه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم، ح: ١٢٩٧.

(٤) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٠٦٣... صحيح مسلم، ح: ١٤٠١.

(٥) صحيح سنن أبي داود، ح"٤٦٠٤.

على أريكتِهِ: كناية عن أنَّه لم يغادر منزله لطلب العلم الشرعي، فهو ملازم لأريكته.

وهذا حال منكري السُّنة، سبحان الله.

يقولُ: عليكُم بِهذَا القُرآنِ، فما وجدتُم فيهِ مِن حَلالٍ فأحلُّوه، وما وَجدتُم فيهِ مِن حرامٍ فحرِّمُوه: يكتفون بالقرآن.

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر مبينًا أنَّ سُنته وحيٌ يوحى، وليست من عند نفسه: «**ما أُعْطِيكُمْ ولَا أَمْنَعُكُمْ، إنَّما أَنَا قَاسِمٌ، أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ**»[١].

ولأن السُّنة بهذا القدر العظيم، فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ سُنته للناس فقال: «**نضَّر اللهُ امرأً سمِع منَّا حديثًا فحفِظَه حتى يُبَلِّغَهُ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أحفظُ له من سامعٍ**»[٢].

فرُبَّ مُبلَّغٍ أحفظُ له من سامعٍ: فيه دليل على أنَّ السُّنة فيها فقه يُستنبط ويُطبَّق.

وفي كل هذه الأحاديث دليلٌ على أنَّ: أمر النبي صلى الله عليه وسلم ونهيَهُ مثل أمرِ القرآن ونهيِه في الاحتجاج وضرورة الإيمان والعمل والتصديق.

---

(١) صحيح البخاري، ح: ٣١١٧.

(٢) مسند أحمد، ح: ٤١٥٧، درجة الحديث: صحيح.

أما الاقتصار على القرآن فحسبُ، فكما قال الشاطبي -رحمه الله: "هو رأيُ قومٍ لا خلاق لهم، خارجين عن السُّنة؛ اطَّرحوا أحكامَ السُّنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاعِ عن الجماعة، وتأويلِ القرآن على غير ما أنزل الله"[1].

في قول الشاطبي: "فأداهم ذلك إلى الانخلاعِ عن الجماعة، وتأويلِ القرآن على غير ما أنزل الله"، دليلٌ على أنَّ مَن أنكر السنة سيتأوَّل في المرحلة التالية القرآن على غير وجهه.

فالسُّنة ضرورة وحصن للإسلام، وسدٌّ مَنيعٌ ضد من يريد العبث بالإسلام.

ولا ينكرُها إلا مفتون: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ [المائدة:٩٢].وَاحْذَرُوا.

(١) الموافقات، الشاطبي، م٣ ص ٣٢٥، ٣٢٦ بتصرف.

### ٥- هل السُّنة كلُّها مكتوبة؟

ج: نعم!

كل السنة مكتوبة وموثَّقة تمامًا.

ذكر الطبراني في الكبير: "إنَّا لم نسمع منه صلى الله عليه وسلم شيئًا إلا وهو عندنا في كتاب"[١].

فكل شيء في سُنته صلى الله عليه وسلم مُدوَّنٌ، حتى سكتات النبي صلى الله عليه وسلم: سكتاته محفوظة مُدوَّنةٌ.

كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَسْكُتُ بيْنَ التَّكْبِيرِ وبيْنَ القِرَاءَةِ إسْكَاتَةً[٢].

بل ونقل الصحابة أنَّه صلى الله عليه وسلم سَعَلَ سَعْلةً في صلاته: "أخَذَتِ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ"[٣].

فقد نقلوا كلَّ سنتِهِ واجتهدوا أشدَّ اجتهاد في حفظها، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ سُنته ستُنقل عبر الأجيال فقال: "تَسمعونَ، ويُسمعُ منكم، ويسمعُ مِمَّن سمعَ منْكم"[٤].

---

(١) الطبراني في الكبير، ح: ١٤٢٧٨.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٧٤٤.

(٣) صحيح مسلم، ح: ٤٥٥.

(٤) صحيح سنن أبي داود، ح: ٣٦٥٩.

فالصحابة سيسمعون الحديث وينقلونه للتابعين، والتابعون سينقلونه لتابعي التابعين، وهذا ما حصل فقد نُقلت السُّنة من الصحابة للتابعين، ثم لتابعي التابعين.

وهنا يأتي السؤال: هل هذا يعني أن السُّنة نُقلت فقط نقل شِفاهٍ أم أيضًا كانت مكتوبة؟

والجواب: السُّنة نقلت نقل شفاهٍ، وكانت مكتوبة، فكُتُب الحديث موجودة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وجرت الكتابة للحديث بين يديه صلى الله عليه وسلم، وعندنا اثنان وخمسون صحابيًّا من كُتَّاب الحديث النبوي.

وفي كتاب عبد الله بن عمرو بن العاص أكثرُ من ألف حديث، وهناك كتاب أنس بن مالك، وكتاب سعد بن عُبادة... كتب كثيرة للصحابة في الحديث(١).

فالسنة محفوظة في الصدور ومكتوبة.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنوات بدأت مرحلة جمع الأحاديث في كتابٍ واحد، وهذا ما يُعرف بالتدوين.

**فالتدوين غير الكتابة:**

أما الكتابة فهي كما قلنا منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه.

بينما التدوين فهو: جمع كل الأحاديث في مكانٍ واحدٍ.

---

(١) دراسات في الحديث النبوي، محمد مصطفى الأعظمي، صفحة (٨٤) وما بعده.

والتابعون وتابعو التابعين اجتهدوا في التدوين اجتهادًا عظيمًا عجيبًا، فجمعوا الأحاديث بالأسانيد المتعددة؛ ولذلك قد يأتي حديث من مائة طريق وأكثر.

فجمعوا كل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بطرقها، وصنَّفوا كتبًا في أسماء الرواة وضبط الرواة، حتى يُضبط كل حديث بحرفِهِ الذي خرج به من فم النبي صلى الله عليه وسلم، وصنَّفوا في علوم الرجال، وصنَّفوا في الجرح والتعديل، وصنَّفوا المسانيد والجوامع والمستدركات والمستخرجات والزوائد والأجزاء، وصنَّفوا في شروح الحديث، وفي علوم الإسناد والمتن.

لذلك كانت درجة أي حديث صحيح أعلى من درجة توثيق كل كتب التاريخ في كل الحضارات مجتمعة، فشروط ضبط الحديث أعلى بألف مرة من وثوقية أي مصدر تاريخي تتخيَّلهُ.

بل إنَّ درجة توثيق الحديث الضعيف أعلى من درجة توثيق كتب أهل الديانات السابقة.

فلو حصل انقطاع في سند الحديث في طبقة واحدة، أي: أنْ يفتقد سند الحديث لراوٍ واحدٍ، أو أنْ يكون الراوي مجهولًا لا نعرفه، ففي هذه الحالة يُحكم على الحديث بالضعف.

بينما نجد أنَّ الكتب السابقة تصل درجة الانقطاع فيها لمئات السنين.

فنقلة السُّنة كانوا أغيرَ الناس على ضبط كل حرفٍ خرج من فمه صلى الله عليه وسلم.

في الحديث المتفق على صحته، أخبر عبد الله بن عمر: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بُنِيَ الإِسْلامُ علَى خَمْسَةٍ: علَى أنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصِيامِ رَمَضانَ، والْحَجِّ. فَقالَ رَجُلٌ: الحَجُّ، وصِيامُ رَمَضانَ؟ قالَ: لا، صِيامُ رَمَضانَ، والْحَجُّ. هَكَذا سَمِعْتُهُ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ**»[1].

فهذا يعني حرص الصحابة على أدق التفاصيل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي حديثٍ آخر: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الدُّبَّاءِ والمُزَفَّت أن يُنتبذ فيه، فقيل لسفيان: أن يُنبذ فيه؟ فقال: لا.. يُنتبذ فيه[2].

يحرصون على الحرف من فمه صلى الله عليه وسلم.

لقد هيَّأ الله برحمته لهذه الأُمَّة الأسباب التي حُفِظت بها سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حمل سنة النبي صلى الله عليه وسلم جيلٌ كانت فِطرتهم سليمة، وسَلِيقَتهم قويمة، وتَمَرَّسوا على قوة الحفظ عبر الزمن، فقد حَفِظوا تاريخهم، ونَقَلُوا أشعارَهم، فكانت عندهم ملكة الحفظ عجيبة، فلما جاء الإسلام وكانوا أشدَّ الناس غَيرةً على سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن أن يدخل فيها أيُّ شيء غير صحيح، لهذا ضبطوا نقل كل حديثٍ خرج من فمه صلى

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٨... وصحيح مسلم، ح:١٦.

(٢) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص١٦٢.

الله عليه وسلم، وكل شيء أقرَّه أو فَعله... ضبطوا سُنَّته صلى الله عليه وسلم أعجب ضبطٍ.

ومَن عُلِم أنَّه يخطئ أو يتعمَّد الكذب من التابعين أو تابعي التابعين كانوا يفضحونه على رؤوس الأشهاد.

فهم يغارون على سُنته صلى الله عليه وسلم أشد غيرةً.

وما كانوا يستحون؛ لأن الأمر دينٌ، فالسُّنة يتوقَّف عليها العمل الشرعي.

لذلك لو كَذَب أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المغرب، لأصبح مفضوحًا في المشرق.

ما كانوا يستحون أبدًا.

مثال على هذا الأمر[1]:

عندنا حديث للنبي صلى الله عليه وسلم: "اللَّهمَّ أنْجِ عَيَّاشَ بنَ أبي رَبيعةَ"[2].

وعَيَّاشُ كان من كبار المهاجرين رضي الله عنه، لكن حفيد عيَّاش والذي اسمه: أبان بن أبي عياش، كان يكذب في رواية الحديث مع أنَّه من كبار القُرَّاء، لكن لما يروي حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُوثق في روايته.

(١) هذا المثال ذكره الشيخ عثمان الخميس في أحد أشرطته.

(٢) متفق عليه.... صحيح البخاري، ح: ١٠٠٦... وصحيح مسلم، ح: ٦٧٥.

فهل السلف تركوا أبان لمقام عياش جده أو سكتوا عنه لسِنه أو لكونه من كبار القراء؟

والله هذا مستحيل، بل إنَّ السلف فضحوه.

وكان شعبة بن الحجاج يمشي في الأسواق ويقول: أيُّها الناس! أبان بن أبي عياش كذَّاب.

يمشي بين الناس ويُحذر منه حتى ذهب حماد بن زيد إلى شُعبة فقال له: أمسِكْ عن الرجل.

فالرجل مُسِنٌّ، وعائلته كبيرة، وجدُّه من كبار المهاجرين، وقد علم الناس بحاله، وأنه يكذب في الحديث، فلا داعي لأن يُفضح في كل مجلس.

بعد أيام، وكانوا في جِنازةٍ فرأى شعبة أبان، فصرخ بأعلى صوته: يا أبا إسماعيل -يقصد: حماد بن زيد- رجعت عن قولي، أيُّها الناس! أبان كذَّاب.

ثم قال: مَا أَرَانِي يَسعُنِي السُّكُوتُ عَنهُ[1].

فالأمر دينٌ.

بل وقد نقل الإمام أحمد بن حنبل عن شُعبة بن الحجاج قولَه: «لأن أزني أحبُّ إليَّ من أن أروي عن أبان بن أبي عياش».

هل يجرؤ أحد في مجتمع كهذا أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

---

(١) الكامل، ابن عدي، م١ ص٣٨٢.

إذا تبيَّن أنَّ أحدًا يتعمَّد الكذب فضحوه.

أما لو أخطأ في روايةٍ دون تعمُّد الكذب يصبح واهيًا في الحديث، ويُترَك.

وقد كانت هناك اختبارات بصفة دورية لكل راوٍ، بحيث لو أخطأ الراوي في أحد هذه الاختبارات ولو كان أعبد أهل الأرض حكموا على رواياته بالضعف.

فلم يكن هناك تساهُل مع سُنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وانظر في حال أشهر الزُّهَّاد في تاريخ الإسلام، الإمام الحسن البصري التابعي الشهير تلميذ الصحابة.

هل يجادل مسلم في علم وتقوى وعبادة الحسن البصري؟

كان الحسن البصري إمام الزهد، من أشهر العُبَّاد، وكان مفتيًا للمسلمين، وقد تربَّى في كنف أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا له عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: اللهم فقِّهْه في الدين وحبِّبْه إلى الناس.

تتلمذ الحسن البصري على يد ابن عباس وكثير من كبار الصحابة.

وعلى علو قدر الحسن البصري في العبادة والفقه، وعلى زُهده الشديد وورعه لو روى حديثًا عن صحابي فقال حدثني ابن عباس مثلًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا لصحَّ حديثه، لكن لو روى الحديث مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر اسم الصحابي الذي سمع منه الحديث، فحديثه مرسل لا يُعتدُّ به، ويُصنَّف في قسم الحديث الضعيف.

تخيل! يُرَدُّ حديث الحسن البصري لو روى مباشرةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا حال السلف مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى عُلوّ قدر الحسن البصري، لكن هناك عقيدة تُؤخذ من الحديث، إذنْ يلزم ضبط كل حرف بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بل والأعجب من هذا:

انظُرْ في حال الإمام حفص الذي يقرأ أهل الأرض القرآنَ بقراءته: حفص عن عاصم.

الإمام حفص الذي ضَبَطَ طريقة تدوير كل حرف في القرآن، ومخرج كل حرف في القرآن من فم النبي صلى الله عليه وسلم.

الإمام حفص والذي هو مُنتهى علم القراءات هو في الحديث ضعيف!

لك أنْ تتعجَّب!

الإمام حفص إمامُ الدنيا في القرآن، لكنه لما انشغل بالقراءاتِ، وتعمَّق فيها، وصارت تملك كلَّ وقتِهِ، قَلَّ ضبطه لألفاظ الحديث النبوي؛ لذلك فهو في الحديث ضعيفٌ.

ولو ورد اسم حفص في سند حديث حُكِمَ بضعف الحديث.

فالسلف كانوا لا يخجلون أمام ضبط الحديث النبوي، ولا هَيْبة لأحد أمام ضبط الحديث النبوي، ولا يستحون من تضعيف أحدٍ مهما علا قدرُه في الإسلام.

وفي وقت تدوين السُّنة ظهرت فتنة اسمها فتنة: "خلْق القرآن" وهي فتنة مشهورة زمن الخليفة المأمون، حاول أن تتخيَّل لو امتلك الخليفة المأمون حديثًا واحدًا يدعم موقفه في القول بخلق القرآن!

سينتهي الأمر.

كان مع المأمون السُّلطان والسجن والقتل -قُتل بعض العلماء في هذه الفتنة- لو استطاع المأمون أن يأتي بحديثٍ واحدٍ لانتهى الموضوع.

لكن مَن كان يجرؤ على صناعة حديث للقول بخلق القرآن؟[(١)]

لا يجرؤ حتى المأمون نفسه.

لم يستطيعوا أن يُقحِموا حديثًا واحدًا ينسبوه للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع؛ لأنه بدراسة سند الحديث سيفتضح أيُّ وضَّاع، وسيُصبح مَن وضع هذا الحديث عارًا عبر التاريخ.

فعِلم الحديث له ضوابط حادَّة، وشروط قاسية، يفتضح من خلالها أيُّ شخص يحاول التلاعب بحرفٍ واحدٍ في أي حديثٍ.

---

(١) هذه الفائدة مستقاة من إحدى محاضرات الشيخ خالد الدريس حول حجية السنة والرد على شبهات القرآنيين.

فعِلم الحديث هو علم حقيقي متكامل له ضوابط.

والضوابط السِتَّة المشهورة للحديث النبوي هي:

١ - اتصال السند.

٢- عدالة الراوي.

٣- ضبط الراوي.

٤- السلامة من الشذوذ.

٥- السلامة من العلَّة القادحة.

٦- وجود العاضد عند الاحتياج إليه[١].

واتصال السند يعني: وجود سند متصل للحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يوجد فيه انقطاع.

فلو كانت هناك حلقة مفقودة في السند حُكم على الحديث بالضعف، ولو كان بقية الرواة في السند أعدل أهل الأرض.

أما عدالة الراوي فمعناها: أنْ يكون راوي الحديث معلومًا بدينه وخُلقِه وصدقِه وأمانتِه.

أما ضبط الراوي فمعناه: أنْ يكون راوي الحديث حافظًا متقنًا.

---

(١) منهج النقد في علوم الحديث، د. عتر، ص ٢٤٢.

وكانت هناك اختبارات كما قُلتُ تجري بانتظام في حياة كل راوٍ، فيأتي شخص ممتحِن بصورة طالب علم، فيُسمِّع على الراوي أحاديثه فيُدخل في الأحاديث حديثًا ليس من طريقه، وينظر هل سينتبه الراوي أم لا؟

كانت اختبارات منتظمة متكررة في جنبات العالم الإسلامي؛ لضبط الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلا يُقبل الْحَدِيثُ إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ إسناد نظيف معروفٌ كل راوٍ فيه.

فالله تعالى بلطيف عنايتِهِ أقام لعلم الحديث رجالًا نُقَّادًا تفرَّغوا له، وأفنَوْا أعمارهم في تحصيله، وفي البحث عن رجاله، ومعرفةِ مراتبِهم في القوة واللين[1].

فقد أتقنوا ضبط الحديث بصورةٍ عجيبةٍ.

قال عبد الرحمن بن مهدي: "يحرُمُ على الرجل أنْ يروِيَ حديثًا في أمر الدِّينِ حتى يُتقِنَهُ ويَحفظَهُ كالآية من القرآن، وكاسم الرجل، والمستحب له أن يورد الأحاديث بألفاظها؛ لأن ذلك أسلمُ له [2].

وكان سلف هذه الأمة آية في الحفظ.

فالإمام ابن شهاب الزُّهري راوٍ، وهو مِن أوَّل مَن دوَّن الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، وهو شيخ الإمام مالك يقول عن نفسه: "ما

---

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، م١ ص ٢٨٩.

(٢) الكفاية في علم الرواية، ص١٦٧.

استعدْتُ حديثًا قطُّ، ولا شككتُ في حديثٍ إلَّا حديثًا واحدًا، فسألتُ صاحبي فإذا هو كما حفظتُ"[١].

أما قتادة فقد قال الإمام أحمد: "قُرِئَ على قتادة صحيفةُ جابرٍ مرةً واحدةً فحَفِظَها"[٢].

وصحيفة جابر بن عبد الله الصحابي الجليل صحيفةٌ معروفةُ، فقد كان له كتاب في الحديث.

قال قتادةُ لسعيد بن أبي عَرُوبَة: أمسِكْ عليَّ المُصحف، فقرأ البقرة فلم يخطئ حرفًا، فقال: يا أبا النضر! لأنا لصحيفة جابرٍ أحفظُ مني لسورة البقرة[٣].

أما الإمام جوهرة الحُفاظ البخاري، فكان كما يقول عن نفسه يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ويحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح[٤].

وذات يوم كان البخاري يَحضُرُ درسًا في علم الحديث، ومازال صبيًّا لم يبلغ أحد عشر عامًا، فقال الشيخ عن سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقال له البخاري: أبو الزبير لم يروِ عن إبراهيم. فتعجَّب الشيخ ثم قال: إذنْ مَن هو؟ قال:

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (٢/ ٢٥٣) وسير أعلام النبلاء، (٥/ ٣٤٤).

(٢) سير أعلام النبلاء، (٥/ ٢٧٦)؛ تذكرة الحفاظ، (١/ ١٢٣).

(٣) التاريخ الكبير، للبخاري (٧/ ١٨٦).

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤).

ليس أبو الزبير عن إبراهيم، وإنما الزبير بن عَدي عن إبراهيم. فراجع الشيخ درسه، فقال: صدقتَ[١].

كان هؤلاء الأئمة هبةً من ربِّ الأرض والسماوات؛ لِحِفظِ دينِهِ، وسُنَّةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم.

تخيل أنَّ الشافعي حفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين[٢].

والكلام عن حفظهم لا ينتهي، ولم يكتفوا فقط بالموهبة، بل عانوا وجاهدوا حتى وصلوا لما وصلوا إليه.

كان الرجل منهم يُسافر في ضبط صحة الحديث الواحد شهرًا.

رحل جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- الصحابي الجليل مسيرةَ شهرٍ إلى عبد الله بن أُنيس في طلب حديثٍ واحدٍ[٣].

وأبو أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- رحل من المدينة إلى مصر؛ ليسأل عقبة بن عامر عن حديثٍ سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فلما حدَّثه، ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائدًا إلى المدينة، وما حلَّ رحله.

وقال مكحول: طُفتُ الأرضَ كلها في طلب العلم[٤].

---

(١) تاريخ بغداد، (٢/ ٧).

(٢) صفة الصفوة م١ ص٤٣٤.

(٣) صحيح البخاري م١ ص٢٦.

(٤) سير أعلام النبلاء، م١ ص١٥٨.

وسافر بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ في طلب الحديث رحلتينِ: الأولى عشرين عامًا، والثانية أربعة عشر عامًا، وقد مشى على قدمه ولم يركب دابة أربعًا وثلاثين سنة.

فقد خرج من الأندلس سيرًا على الأقدام إلى بغداد، وتَنقَّلَ بين بلاد المسلمين؛ لينقل الحديث، ويضبط الرواية.

لا تُعرف أُمة جرَّحت وعدَّلت نفسها مثل أمة الإسلام، حيث جاءت وتكلَّمت عن نفسها، ونقدت نفسها، ونقَّحت نفسها.

فهذا راوٍ ثقةٌ، وهذا كذَّاب، وهذه رواية بلا وزن، وهذه رواية متواترة.

لا توجد أمة جرَّدت نفسها لكل حرفٍ من فم نبيها كما فعلت هذه الأمة.

فقد ضبطت النقل وأتقنته، فحفظت شريعة ربها قرآنًا وسُنةً.

والإسناد عند هذه الأمة من الدين؛ لأن به حفظ الدين.

نَقل الإمام مسلم عن عبد الله بن المبارك قوله: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء"[١].

فجزى الله سلف هذه الأمة خيرًا وتجاوز عن خلفها. آمين

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، م١ ص٨٧.

## ٦- هل تأخَّر تدوين السُّنة النبوية لـ ٢٠٠ سنة كاملة حتى جاء البخاري؟

هل تم تدوين السُّنة النبوية بعد مائتي عام من وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟

هل ظلت السُّنة شفاهية قرنين كاملين من الزمان وبعد ذلك تم تدوينُها؟

ج: أتخيَّل لو أنَّ طارح مثل هذه الشبهة ذهب لمجلس الإمام البخاري الذي كان يحضره عشرون ألفًا من عباقرة هذا العلم، ثم قال للإمام: كيف لك أن تجمع الأحاديث بعد مائتي عام من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟

ربما لأصبح هذا الحدث أشهر خبر من أخبار الحمقى والمغفلين على مر العصور.

إن المتقدمين ما تركوا شبهة إلا وبيَّنوها للناس.

ولا أعرف أحدًا من المتقدمين تعرَّض لهذه الشبهة -شبهة تأخُّر كتابة الحديث النبوي مائتي سنة- لأنَّ هذه ليست شبهة، بل هي دليل جهل شديد بالإسلام.

فالسُّنة كانت مكتوبة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وكتاب الصدقات والدِّيات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم، هو كتاب أحاديث نبوية تمَّت كتابته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم[1].

---

(١) كَتَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ بِكِتَابٍ فِيهِ الْفَرَائِضُ، وَالسُّنَنُ، وَالدِّيَاتُ، وَبَعَثَ بِهِ عَمْرَو بْنَ حَزْمٍ. التلخيص الحبير، م٤ ص٥٨.

وكتاب عبد الله بن عمرو بن العاص هو أيضًا كتاب أحاديث نبوية مكتوب في عصر النبوة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومجموع أحاديث هذا الكتاب ألف حديثٍ، وكان يُسمِّيه عبد الله بن عمرو بـ: "الصحيفة الصادقة"، وهذا الكتاب انتقل إلى حفيده عمرو بن شعيب، وروى الإمام أحمد في مسنده جُزءًا كبيرًا منه؛ وروى كذلك البخاري ومسلم بعضًا منه، وتناقَلَه أولادُه وذريَّتُه من بعده، ونال الرعاية والحِفظ والتداوُل والنَّقْل عبر الزمن.

وكتاب أنس بن مالك الأنصاري -رضي الله عنه- كُتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وكتاب سعد بن عُبادة -رضي الله عنه- كتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وكتاب الإمام علي، وما كُتب عام فتح مكة بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم لأبي شاه اليمني(١).

كتب أحاديث كثيرة كُتبت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم(٢).

فهناك كما قلت اثنان وخمسون صحابيًّا من كُتَّاب الحديث النبوي زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم جاء التابعون ونقلوا عنهم ما كتبوا، ونقوا عنهم ما حفظوا.

---

(١) صحيح البخاري، ح: ٢٤٣٤.

(٢) دراسات في الحديث النبوي، محمد مصطفى الأعظمي، صفحة (٨٤) وما بعده.

فأبو هريرة رضي الله وحده نقل عنه ثمانمائة تابعي، وبعضهم ينقل الأحاديث شفاهةً والبعض الآخر كتابةً.

وقد كان في جيل التابعين تلاميذ الصحابة المئات من كُتاب الحديث النبوي، ومن أشهرهم همام بن مُنبِّه، صاحب الصحيفة التي وصلتنا كاملةً، فكتاب همام بن مُنبِّه وصلنا كاملًا، وهذا الكتاب كتاب أحاديث نبوية كُتب في السنوات التالية مباشرةً لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

فهناك الكثير من كُتَّاب الحديث من التابعين.

وكان يكتب عن جابر بن عبد الله الصحابي الجليل أربعة عشر تابعيًّا.

وكان يكتب عن ابن عباس تسعة من التابعين، وكانت كتب ابن عباس وَقْرَ بَعِيرٍ.

وبالمناسبة: همام بن مُنبِّه صاحب الصحيفة الشهيرة، هذه الصحيفة ما زالت بين أيدينا حتى الساعة، ومنها نسخة في مكتبة دمشق، ونسخة أخرى في مكتبة برلين.

ونُقلت الصحيفة كاملة في مسند الإمام أحمد.

وصحيفة تعني: كتاب.

كان عدد كُتاب السُّنة في عهد التابعين ٢٥٢ تابعيًّا[١].

---

(١) دراسات في الحديث النبوي، محمد مصطفى الأعظمي، صفحة (٨٤) وما بعده.

فكتابة الحديث بدأت منذ عصر الرسالة، وكَتب الصحابةُ الأحاديث النبوية، وكَتب التابعون الأحاديث النبوية.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس من التابعين: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وكان لكل واحدٍ منهما كتابُ حديثٍ فأصبحت عندنا: صحيفة سعيد بن جبير، وصحيفة مجاهد بن جبر.

ونشِط أيضًا أبو الزبير محمد بن مسلم المكي أحد أشهر وأضْبط تلاميذ جابر بن عبد الله، فكتب عنه صحيفةً عُرِفَت باسمه، وعندنا صحيفة أيوب السَّخْتيانِي، وصحيفة عروة بن الزبير، وصحيفة خالد بن مَعْدان، وصحيفة أبي قِلابة، وصحيفة الحسن البصري، كل هؤلاء تلاميذ الصحابة كتبوا الأحاديث النبوية.

فالكتابة للحديث النبوي متصلة وموجودة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن يا تُرى: مَن أول مَن فكَّر في جمع كل الأحاديث النبوية في كتابٍ واحدٍ؟

والجواب: فكرة جمع كل الأحاديث النبوية في كتابٍ واحدٍ والتي تُسمَّى بالتدوين، كانت في ذِهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد فكَّر في جمع الأحاديث كما تمَّ جمع القرآن، واستشار كبار الصحابة في ذلك فوافقوه على ذلك، لكنه تراجع حتى يتمكَّن القرآن في قلوب الناس، ولا يختلط بالسُّنة؛ لأن

عهد الناس بالقرآن حديث جدًّا، فأغلب المسلمين على وجه الأرض في ذاك الوقت لم يسلموا إلا قريبًا.

فقرَّر عمر أن يتأنَّى بالناس حتى يتمكَّن القرآن من قلوبهم.

والسُّنة محفوظة ومنقولة ومكتوبة فلا خوف عليها، لكن لو جُمعت في كتابٍ واحدٍ، ووُزعت على الأمصار بالتوازي مع القرآن لزاحمت القرآن، ولم يُؤمَن أن تلتبس به.

فأجَّل عمر -رضي الله عنه- فكرة تدوين السُّنة في كتابٍ واحدٍ.

وظلَّ الأمر على ذلك إلى أن أتى زمن تلميذ عمر بن الخطاب: كثير بن مُرَّة، وقد أدرك كثير بن مُرَّة سبعين بَدْريًّا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أيضًا تلميذُ معاذ بن جبل، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعوف بن مالك، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وعقبة بن عامر، وعدد كبير من كبار الصحابة فقد تتلمذ على أيديهم جميعًا.

ففي زمن كثير بن مُرَّة بدأ مشروع تدوين السُّنة، فقام هو بجمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

ومشروع كثير بن مرة كان مشروعًا عملاقًا، وجاء بأمر من التابعي الجليل: عبد العزيز بن مروان، والذي كان حاكمًا على مصر طيلة ٢٠ سنة.

وبعد عبد العزيز بن مروان جاء ابنه: عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، والذي أمر أبا بكر بن حزم، وابن شِهاب الزُّهري بإكمال مشروع كثير بن مُرَّة.

إذنْ فتدوين الحديث كان في مرحلة مبكرة جدًّا.

أما كتابة الحديث فكانت منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما فصَّلنا، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتابتها بين يديه، وقال: اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ[1].

ولما توقَّف عبدُ اللهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ عن كتابة السُّنة، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: اكتُبْ؛ فوالَّذي نفْسي بيدِهِ، ما يَخْرُجُ منه إلَّا حقٌّ[2].

وكان أبو هريرة يخصص ثلث الليل؛ ليحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالسُّنة كانت تُكتب وتُحفظ بين يديه صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الصحيح عندما سُئل عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص: أيُّ المدينتين تُفتح أولًا القسطنطينية أو رومية؟ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي: قُسْطَنْطِينِيَّةَ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح سنن أبي داود، ح: ٣٦٤٦.

وانظر لقول عبد الله بن عمرو بن العاص: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ، فقضية أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتبون الأحاديث بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قضية بديهية.

لكن هنا قد يقول قائل: ما أجمل لو دُوِّنَتِ السُّنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً!

والجواب: بعض الناس ربما يتخيَّل لو دُونت السُّنة من أول يوم في كتابٍ واحدٍ لانقطعت ألسنة المغرضين من نفاة السنة.

وهذا كلام غير صحيح؛ لأن الكتابة ليست من لوازم الحُجية، ولا يتوقَّف عندها صيانة الحجة،

بل إنَّ الكتابة لا تفيد القطع عند العرب كما يفيد الحفظ!

ونحن ما عرفنا الشعر الجاهلي إلا بالحفظ.

ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة كيفية الصلاة أو أوقاتِها، ولو كانت الكتابة من لوازم الحجية لأمر بكتابة كيفية الصلاة بكل حركةٍ وكلمةٍ وذِكرٍ.

أيضًا حجية القرآن ليست في أنه كُتِب.

فالناس حتى الساعة يتلقَّون القرآن بالسماع.

فالقرآن كتاب صوتيٌّ، وليس كتابًا ورقيًّا، فكل حرف في القرآن نُقلت طريقة نطقِهِ نقل شِفاهٍ من فم النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت تأخذ القرآن من فم

شيخك، ولا تستطيع أن تحصل على إجازة في القرآن دون النقل الشِّفاهي لكل حرف فيه، وشيخك حصل على الإجازة من فم شيخه، وهكذا وصولًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ولا تتمُّ طباعة المصحف حتى الساعة في أية دولة إسلامية إلا بعد أن يقوم بمراجعته أهلُ الأسانيد، ممن تلقَّوهُ نقل الشِّفاه من فم النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن حجية القرآن في نقل الشفاه، وليست في أنه دُوِّنَ.

ولذلك عندنا مقولة: لا يؤخذ القرآن من مصحفيٍّ.

فالقرآن يؤخذ ممن يتلقَّاه مشافهةً في سلاسل من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرِنا هذا.

فالاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب، لا على حفظ المصاحف[١].

فالقرآن في الأصل كتاب صوتي، وكذلك الحديث رواية صوتية.

الحديث منقول بالسماع عن النبي صلى الله عليه وسلم في كل طبقة.

وكما أنَّ القرآن مُدوَّن ومحفوظ في الصدور، كذلك السُّنة مُدوَّنة ومحفوظة في الصدور.

وحجية حفظ الصدور هي الأساس في نقل القرآن والحديث، وليس مجرد التدوين.

---

(١) النشر في القراءات العشر ج١ ص٦.

ولذلك لما دُوِّن القرآن زمن عثمان ابن عفان رضي الله عنه، لم يكن عندنا سوى ست نسخ من القرآن في كل الأمة الإسلامية.

نسخة المصحف الإمام عند عثمان، ونسخة لليمن، ونسخة للشام، ونسخة للعراق، ونسخة لمصر، ونسخة لمكة.

والناس يتناقلون القرآن سماعًا، وظل نقل القرآن السماعي عبر القرون وحتى يومنا هذا، وسيبقى هكذا إلى أن تقوم الساعة.

الأمر نفسه بالنسبة للحديث، فقد كُتِب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه في الأساس نُقل بالسند الصحيح المتصل نقْل صدور ونقْل شفاه.

إذنْ فحجية القرآن لم تأتِ مِن تدوينه، وإنما حجية القرآن من حفظه في الصدور، ونقله على مرِّ العصور، كذلك السُّنة.

لكن لماذا لا تُثبِت الكتابةُ حجيةَ النقل؟

والجواب: إذا تعارَض حديثٌ مسموع مع مكتوب، أَخذ أهلُ العلم بالمسموع.

قال الآمدي: رواية السماع أوْلى لبُعدها عن تطرُّق التصحيف والغلط[١].

فالنقل المتقن الضابط العدل أقوى وأعلى حجية من الكتابة؛ لأن النقل الصوتي أبعدُ عن التصحيف والغلط.

(١) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، ص٩٩٤.

فالحافظ أتقنُ لما يقول، وأعرف لمعنى ما يقول، وأضبطُ لمقصود ما يقول، خاصَّةً من قومٍ عُرفوا بقوة الحفظ، ونَقلوا تاريخهم بقوة الحفظ، فاعتمادُهم على ذاكرتِهم هو أساس الحجية.

ومشكلة الكتابة أنها لا تنضبط بها الذاكرة؛ لأن الذي يكتُبُ ينسى، فيأتي احتمال تطرُّق الخطأ، ثم إنَّ عدم ضبط المكتوب قد يُغير المعنى بالكلية بتصحيفٍ واحدٍ في حرفٍ واحدٍ من الحديث، بينما الذي يقرأ من حفظه يُوَلِّد عندك اطمئنانًا عجيبًا.

تخيل عندما يُستفتى مُفتٍ في مسألةٍ شرعيةٍ، فيجيب بالأدلَّة من السُّنة من حفظه، أليس هذا أوثَقَ عندك، وأكثَرَ طمأنينة لفؤادك ممن ينقل لك الفتيا من الكتب؟

فالحفظ يزيد اطمئنانك لمعرفة الحافظ بدلالة الحديث ومعناه وفقهه.

والحفظ سجيَّةُ العرب فلم يكن بالشيء المرهق لهم، فهم يحفظون مُعلَّقاتهم، وكان منهم مَن يحفظ ألف بيت شعرٍ، كذلك القرآن بقِي في عهد النبوة محفوظًا في الصدور.

واعتمدوا في نقل المعرفة على حفظ الصدور، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُرسِل مَن يُعلّم الناس دينهم، ويحكم بينهم، ويقضي بينهم، لا بكتابٍ وإنما بحفظ الصدور وفقه القلوب.

وساعد العربَ على قوة الحفظ بساطةُ المعيشة، والجوُّ الهادئ، وقلَّة الشواغل، وحدَّة الذكاء، وسَعة الخبرة باللسان العربي.

وكانوا مطبوعين على الحفظ، فابن عباس حَفِظ قصيدة عمرو بن أبي ربيعة من ٧٥ بيتًا من أول مرةٍ سمعها، وكان كذلك الزُّهْري والشَّعبي، حتى يقول الزهري: ما دخل أُذني شيءٌ نسيتُهُ.

فالحفظ أيسَرُ على العرب، وهو أسلم بكثير وأضبط، والحفظ لا يكون إلا بالفهم وإدراك المعنى والتحقُّق منه.

لذلك ولَّد حفظ سُنة النبي صلى الله عليه وسلم في الصدور «مَلَكَة الفقه العجيبة«» التي ظهرت في سلف هذه الأمة، وفي كل مَن يعتني بالحفظ في كل زمنٍ.

فهذا الميراث الفقهي المدهش الذي تم استنباطه من القرآن والسُّنة مصدرُهُ حفظ الصدور، وإتقان المعنى.

فالحفظ ولَّد الفقه.

فتجد أحدَهم يسترسل في ضبط الأحكام الشرعية، وكأن مكتبة ضخمة مفتوحة أمامه ينهَلُ منها ما يريد في أي لحظة.

وتجد ابن القيم يكتب زاد المعاد كاملًا في أحد أسفاره دون العودة لكتبٍ.

ويُملي السَّرَخسِيُّ على تلاميذه وهو محبوس في بئرٍ كتابَ "المبسوط" وهو موسوعة ضخمة من خمسة عشر مجلدًا.

وشرَح القرطبيُّ "صحيحَ مسلم" وهو على ظهر سفينة، وشرْحه وقع في خمسة عشر مجلدًا إملاءً من خاطره من غير مطالعةٍ، ولا مراجعةٍ، ولا تعليقٍ.

فالحفظ ولَّد هذه الملَكة العجيبة عند هذه الأمة.

أما مَن يعتمد فقط على الكتابة فقد لا يفقهُ.

لذلك لم يكن العرب يثقون بالكتابة إلا بشروطٍ كثيرةٍ، فلا بد أن يحمل المكتوب سندًا وخَتمًا حتى يوثق بأن كاتبه هو فلان.

وقد يقع في الكتابة التصحيفُ.

فلن تُقدِّم لنا الكتابة شيئًا إضافيًّا للأمة لو تمَّ تدوين السُّنة -جمع كل الأحاديث في مكان واحد- من أول يوم، بل قد يُفوّت هذا الأمرُ فرصةَ توليد هذه الملكات الفقهية العجيبة التي ولَّدها الحفظ.

ولربما حصلت مع الكتابة إشكالاتُ وقوع الظن في معنى ما كُتب، وإشكالات التصحيف، فربما تتغيَّر نقطة واحدة على حرفٍ واحدٍ؛ فتؤدي لتغيير معنى الحديث بالكلية.

ومن اعتمد على الكتابة تضعُف ملكة الحفظ عنده، وبالتالي ينسى المعنى المقصود، وينسى ضَبْط ما كَتب.

فمِن رحمة الله بهذه الأمة أن قدَّر لها أن تحفظ سُنة نبيها حفظ صدور، كما حفظت القرآن حفظ صدور فتولَّد هذا الفقه العظيم لدين الله عند السلف.

وهذا من عجيب حكمة الله وفضله على هذه الأمة.

وسبحان الله حتى الفلاسفة عبر التاريخ كانوا يستشعرون بعبء الكتابة، وكانوا يُؤكّدون أنَّ الذي يعتمد على الكتابة دون الحفظ يضعُفُ ذهنه مع الوقت، من أجل ذلك كان أفلاطون يهجو الكتابة بشدةٍ، ويؤكد أن الكتابة تؤدي لضياع المعنى، وفتور النفس[١].

وسوف تبقى السُّنة محفوظة بحفظ الله للقرآن، محفوظة إلى قيام الساعة، فهي بيان القرآن، والمصدر الثاني للتشريع باتفاق كل مسلم.

ولا يُخالف في كونها المصدر الثاني للتشريع، وبيان القرآن إلَّا مَنْ لا حظَّ له في دين الإسلام، كما قال الشوكاني -رحمه الله[٢].

(١) إشكالية العقل العربي، جورج طرابيشي، ص٣٠.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، الشوكاني، ص ٦٩.

### ٧- لماذا يهاجم دعاة حركة التنوير الصحابة؟

ج: لأنهم ببساطة لا يجرؤون على القدح في الإسلام.

فمَن هي الحلقة التي لو هاجمها التنويري لما انتقده الناس، وفي الوقت نفسه سيسهل عليه بعدها الهجوم على الإسلام؟

إنها حلقة الصحابة.

وبعد أن يُسقط التنويري قيمة الصحابة من قلبك، سيسهُلُ عليه بعدها تأويل أي نص شرعي وفقًا لأي هوًى.

وبهذا يُبطل التنويريون أحكامَ الدين القطعية، وينكروا ما عُلم من الدين بالضرورة بكل بساطة، ولو بيَّنت لهم أنَّ فهمهم مخالفٌ لما أجمعت عليه الأمة، ومناقضٌ لظاهر وصريح النص الشرعي والمعني اللغوي، فلن يهتمُّوا بما تقول؛ لأنهم منذ قليل أسقطوا قدوة هذه الأمة، أسقطوا الصحابة، أسقطوا أكثر الناس معرفةً بمعاني التنزيل، فلن يوقفهم شيء عن تأويل أي نصٍّ شرعيٍّ وفقًا لأي هوًى، فالهجوم على الصحابة هو طريق سهل وذكي للهجوم على الإسلام.

قال أبو زُرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديقٌ؛ لأن الرسول عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآن والسُّنة أصحابُ الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يريد القوم أن يُجرِّحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسُّنة"[١].

---

(١) الإصابة، ابن حجر، ج١ ص٢٢.

فهم يعرفون جيدًا أنَّ الحائط في مواجهة التلاعب في دين الله هم الصحابة؛ لأن فهمهم أقربُ وأصلحُ فهم لمعاني التنزيل.

فالصحابة أقرب الناس للرسالة، وشَهِدوا تنزُّل القرآن والسُّنة، وهم أعرف الناس بالعربية، وأدْرى الناس بمراد الشرع.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ**»[1].

فالصحابة أمانٌ لهذه الأمة، وأمانٌ للفهم الصحيح للكتاب والسُّنة.

ودعاة حركة التنوير يعرفون قدر الصحابة؛ لذلك هم يريدون أن يُسقطوا أمنة هذه الأمة، يريدون أن يُسقِطوا هذا الحائط؛ ليسهل عليهم بعد ذلك الهجوم على القرآن والسُّنة كما يحبون.

لما سئل أبو عبد الرحمن النسائي صاحب "السنن الكبرى" عن معاوية، قال: "الإسلام دار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام"[2].

فمن فقه النسائي عَلِم أن الهجوم على معاوية يُراد به شيءٌ آخر.

فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام.

---

الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، ص٤٩.

(١) صحيح مسلم، ح: ٢٥٣١.

(٢) تهذيب الكمال، الحافظ المزي، ١/ ٣٣٩.

والسلف كانوا يعرفون أنَّ مدخل من أراد الهجوم على الإسلام هو: الصحابة.

لذلك قال البربهاري: "واعلم أن مَن تَناول أحدًا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إنما أراد محمدًا صلى الله عليه وسلم"[(١)].

فشأنُ الصحابة شأنٌ عظيمٌ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾ [النساء:١١٥].

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ: مَن اتبع غير سبيل المؤمنين مِن الصحابة فمَن بعدهم، ضلَّ سعيُهُ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ تعالى لا يجمَعُ أمتي على ضلالَةٍ، ويدُ اللهِ على الجماعَةِ**»[(٢)].

فإجماع الصحابة معصوم، وسبيلهم هو النجاة، فهؤلاء عاصروا النبوة، وأخذوا عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطةٍ، وعاينوا النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في حله وترحاله، فكان النبي صلى الله عليه وسلم مُعلمهم.

ولذلك كانوا أصلح الناس قلوبًا.

---

(١) شرح السنة، ص ١١٤.

(٢) صحيح الجامع، ح: ١٨٤٨.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه: «فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١).

أَعْمَقَهَا عِلْمًا: أكثر هذه الأمة فهمًا وإدراكًا، فهم كتبوا الوحي بأيديهم وقت تنزُّله، وحضروا أسباب نزوله.

قال الشاطبي: هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها.

وقد زكَّاهم الله في كتابه فقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقد احتجَّ العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع الصحابة، واستحقاقهم أن يكونوا أئمَّة متبوعين يُقتدى بهم، وتؤخذ أقوالهم.

لأن الآية تقول: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ. فالآية تتضمَّن المدح لكل من اتبع الصحابة.

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ٢/ ١١٩.

روى ابن جرير بسنده عن الضحاك، قال: هُمْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩]

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر٨، :٩].

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ: المدينة المنورة.

وَالْإِيمَانَ، أي: تشرَّبوا الإيمان في قلوبهم.

كل هذه تزكيات في كتاب الله لمجتمع الصحابة.

وانظر لهذا الخطاب الإلهي: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة:١٣٧].

مَن آمن مِن الناس بمِثل ما آمن به الصحابة فقد اهتدى.

ولذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ التحذير من التعرُّض لمجتمع الصحابة، فهم أطْهر وأسْمى وأنْقى وأصلح وأسلمُ مجتمع في الدنيا بعد الأنبياء... مجتمع صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

لذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تَسُبُّوا أصْحابِي، لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ**»[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ**»[(٢)].

فذهاب الصحابة وذهاب هَدْي الصحابة هو إيذان بمجيء الفتن.

فعصر الصحابة هو أعظم عصور هذه الأمة؛ لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»[(٣)].

فقرن الصحابة هو أفضل قرن في تاريخ هذه الأمة في كل فضيلة وكل علم وعمل وقصد.

---

(١) صحيح مسلم، ح: ٢٥٤٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) متفق عليه.... صحيح البخاري، ح: ٦٤٥٩... وصحيح مسلم، ح: ٢٥٣٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله: «وكلُّ مَن له لسانَ صدق مِن مشهورٍ بعلمٍ أو دينٍ معترفٌ بأنَّ خير هذه الأمة هم الصحابة»[١].

وقال الإمام أحمد: «أصولُ السُّنَّةِ عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحابُ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداءُ بهم»[٢].

ومذهب الإمام مالك يقوم على ترجيح عمل أهل المدينة؛ لأنهم أقربُ الناس لتطبيق القرآن والسُّنة.

فهذا قدْر الصحابة الذي لا بد أن يُنزلهم إياه كل مسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ**»[٣].

فما اجتهد فيه الخلفاء الراشدون من الصحابة كان حُجَّةً بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويكفيك قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: «**تفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً، قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أَنا علَيهِ وأَصْحابي**»[٤].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٦٥.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/ ١٥٨.

(٣) سنن أبي داود، ح: ٤٦٠٧، درجة الحديث: صحيح.

(٤) صحيح سنن الترمذي، ح: ٢٦٤١.

فالفرقة الناجية هي ما كان عليه عقيدة الصحابة، وفهم الصحابة، وفقه الصحابة.

فالواجب علينا أن نُحب صحابةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لثناء الله عليهم، ولإيمانهم به، ولتصديقهم بنبيه، ونصرتهم له، ولما نفعنا الله به من جهادهم في سبيل نصرة هذا الدين ووصوله إلينا.

فنحن نحبهم، ونتبع هَديهم، وندافع عنهم، ولا نقبل بموجة الهجوم عليهم، ونُعرِّف الناسَ حقَّهم.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: «**إنَّ اللهَ نظَرَ في قلوبِ العِبادِ؛ فوجَدَ قلبَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خيرَ قلوبِ العِبادِ، فاصطَفاه لنفْسِهِ، فابْتعَثَه برِسالتِه، ثُمَّ نظَرَ في قلوبِ العِبادِ بعدَ قلبِ محمَّدٍ؛ فوجَدَ قلوبَ أصحابِه خيرَ قلوبِ العِبادِ، فجعَلَهم وُزَراءَ نبيِّه، يُقاتِلونَ على دينِه، فما رَأى المُسلمونَ حَسنًا؛ فهو عندَ اللهِ حَسنٌ، وما رأَوا سيِّئًا؛ فهو عندَ اللهِ سيِّئٌ**»[(١)].

وقال ابنُ عبَّاسٍ -رضي الله عنه- في مناظرته الشهيرة للخوارج: «أتيتُكُمْ من عند أصحابِ النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم المهاجرين والأنصارِ، ومن عندِ ابنِ عمِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم وصهرِهِ، وعليهم نزل القرآنُ. فهم أعلمُ بتأويلِهِ منكم»[(٢)].

فالصحابة هم أعلمُ الناس بفقه هذا الدين.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ح: ٣٦٠٠، درجة الحديث: حسن.

(٢) الصحيح المسند، ح: ٧١١.

فاتباع الصحابة يقطع مادَّة الابتداع في الدين؛ لأنك تتبع المنهج الأول قبل ظهور الفتن.

ولو نحَّينا فقه الصحابة، ومنهج الصحابة، وفهم الصحابة، لتأول الناس القرآن بإخراجه عن معناه، وعن مراد الشرع.

ولذلك كان الهجوم على الصحابة هو مشروع التنويريين لإفساد دين الناس.

ومن أجل هذا عدَّ العلماءُ الطعنَ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علامةَ أهل البدع والنفاق، الذين يريدون إبطال الشريعة بجَرْح رواتها .

عن عبد الله ابن الإمام أحمد قال: «**سألت أبي عن الرجل شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: ما أراه على الإسلام**»[١].

وقال الإمام مالك: «من انتقص أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حقٌّ، قد قسم الله الفيء في ثلاثة أصناف فقال:

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ: وهذا هو الفيء الأول.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ: هذا هو الفيء الثاني.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ: وهذا هو الفيء الثالث»[٢].

---

(١) السنة، الخلال ١/ ٤٩٣.

(٢) الإصابة، ابن حجر ج١ ص٢٣.

والفيء الثالث هم أتباع منهج الصحابة.

ولا يوجد فيءٌ رابعٌ.

فمن لم يتبع منهج الصحابة فليس له في هذا الفيء حقٌّ.

والصحابة كلهم عُدولٌ.

قال الإمام النووي: الصحابة كلهم عدول، مَن لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يُعتد به[(١)].

ولا يوجد أحد يطعن في عدالتهم إلا ويَضعف إيمانه وتصديقه بالنصوص بقدر ما يطعن في الصحابة.

قال ابن الصلاح: «إن الأُمَّة مُجمعة على تعديل جميع الصحابة. ومن لابس الفتن منهم: فكذلك؛ بإجماع العلماء الذين يُعتد بهم في الإجماع، إحسانًا للظن بهم، ونظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك؛ لكونهم نقلةَ الشريعةِ»[(٢)].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رآني، وصاحبَ مَن صاحَبَني**»[(٣)].

اللهم ارزقنا حبَّهم ونُصرتهم آمين.

---

(١) التقريب والتيسير، ص٩٢.

(٢) علوم الحديث، ص١٧١.

(٣) الصحيح المسند، ح: ١٢١٣.

٨- ما معنى حديث الآحاد، وما الفرق بينه وبين الحديث المتواتر؟

ج: حديث الآحاد هو كلُّ حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه عددٌ من الرواة في كل طبقة لا يصل إلى حد التواتر.

فلو أنَّ حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه صحابيٌّ واحدٌ إلى عشرة من التابعين، ثم انتشر بين الناس، فهذا يُسمَّى حديث آحاد.

والحديث الذي رواه صحابيَّانِ إلى مائة تابعي، ثم انتشر بين الناس، يُسمَّى أيضًا: حديث آحاد.

والحديث الذي يرويه ثلاثةٌ من الصحابة إلى مئات التابعين، يُسمَّى حديث آحاد.

فمثلًا حديث: «**الْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ ويَدِهِ**»[١].

هذا حديث رواه ثلاثة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدد كبير من التابعين.

ومع ذلك اسمه: حديث آحاد.

والحديث الذي رواه أربعة من الصحابة إلى مئات التابعين، اسمه: حديث آحاد.

أما الحديث المتواتر فهو: كل حديث رواه جمعٌ كبيرٌ من الصحابة إلى جمع كبير من التابعين.

---

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ١٠... وصحيح مسلم، ح:٤٠.

بحيث يكون هناك جمع كبير من الرواة في كل طبقة من السند، وهذا الذي يُسمَّى بالمتواتر.

والتفريق بين الحديث الآحاد والحديث المتواتر هو تفريق اصطلاحي حديثي فقط.

فالسلف لا يُفرقون بين متواتر وآحاد.

فطالما صحَّ الحديث، وثبَت عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب العملُ به؛ سواءً رواه صحابيٌّ واحدٌ أو صحابيَّانِ أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة، طالما صحَّ الحديث وَجَبَ العمل به في العقائد والأحكام والتشريعات.

فهذا التقسيم: آحادٌ ومتواترٌ، هو تقسيم اصطلاحي لطلاب علم الحديث.

فالكل يتفق ولا يشذُّ عالمٌ واحدٌ من علماء الحديث على أنَّ: الحديث آحادًا كان أو متواترًا طالما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب العمل به.

فالعبرة في الأخير بصِدق الخبر وصحته، وليس بعدد من أخبرك الخبر.

فقد يصحُّ حديث من راوٍ صادقٍ ثَبْتٍ، ولا يصحُّ من أكثر من راوٍ مجهولٍ.

فطالما اتصل السند، وثبَتت عدالة الراوي وضبطُهُ، وسَلِم الحديث من الشذوذ والعلَّة صار صحيحًا، ووجب العمل به؛ سواءً جاء من طريقٍ أو مائةٍ.

والآحاد حجة عقلية في قبول الحُكم؛ إذ لو أتاك شخصٌ واحدٌ ثقةٌ صدوق، ونقل لك خبرًا رآه بعينه فهذا يُولِّد عندك العلم الضروري، بينما لو أتاك أكثر من شخص مجهول لا تعرفهم وأخبروك خبرًا فقد لا يطمئن قلبُك لما قالوا.

فالعبرة ليست بالعدد، وإنما بالخبر الصادق.

والشريعة تقوم على حجية خبر الآحاد، وأنه يُلزِم بالعلم والعمل معًا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ: والطائفة تشمل ما دون المتواتر، وبها يقع العلم والحُجة.

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُرسِلُ رُسُلَهُ آحادًا، ويُرْسِلُ كُتُبَهُ مع الآحاد، ولم يكن المُرْسَلُ إليهم يقولون: لا نقبله؛ لأَنَّه خبر واحد.

والأنبياء أتوا فُرادى إلى أقوامهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امرأً سمعَ منَّا حديثًا فحفظَهُ حتَّى يُبلِّغَهُ فربَّ حاملِ فقْهٍ إلى مَنْ هوَ أفقَهُ منْهُ**»[1].

وهذا الحديث دليلٌ على حجية خبر الواحد، فالواحد الثقة الضابط للحديث حجة.

فالحديث يحمله الواحد، ويُبلِّغه الواحد، وتقوم الحجة بالواحد.

وحديث: «**مَن يَأْتِينَا بخَبَرِ القَوْمِ؟ فَقالَ الزُّبَيْرُ: أنَا**»[2].

(١) صحيح سنن أبي داود، ح: ٣٦٦٠.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٤١١٣.

وكان هذا يوم الأحزاب، فهنا اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم خبر الزبير، وهو خبر الواحد.

وحديث: «**بَيْنَما نحنُ بمِنًى إذا عليٌّ بنُ أبي طالبٍ على جَملٍ وهو يقولُ: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ هذه أيَّامُ طُعْمٍ وشُربٍ، فلا يَصومَنَّ أحَدٌ، فأَسمَع النَّاسَ**»[1].

وهنا اتبع الناسُ أمْرَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا فيه حجية خبر الواحد، وقيام العلم والعمل بخبره.

وأنت تُصدِّق المؤذنَ، وتعمل بخبره في أهم شعيرة في دينك: الصلاة.

وهذا خبر آحاد.

والأدلَّة في هذا لا تُحصى.

والنبي صلى الله عليه وسلم كما قُلتُ كان يرسل الواحد من صحابته في تنفيذ أمره، أو إمارة الناس، نيابةً عنه أو قبض الزكاة، أو غير ذلك.

فالأمة مجمِعةٌ على قبول خبر الواحد والعمل بخبره.

وانظر لحديث: «**بيْنَما النَّاسُ في صَلَاةِ الصُّبْحِ بقُبَاءٍ، إذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقالَ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ أُنْزِلَ عليه اللَّيْلَةَ، وقدْ أُمِرَ أنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إلى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إلى القِبْلَةِ**»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد، ح: ٨٢٤، درجة الحديث: صحيح.

(٢) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٤٤٩٤... وصحيح مسلم، ح:٥٢٦.

فالصحابة عملوا بخبر الواحد واستداروا وهم في صلاتهم.

فمتى جاء الثقة بالخبر: حصل العلم، ووجب العمل.

وحديث أنس: «**كُنْتُ أَسْقِي أبا عُبَيْدَةَ، وأَبا طَلْحَةَ، وأُبَيَّ بنَ كَعْبٍ مِن فَضِيخِ زَهْوٍ وتَمْرٍ**، (يشربون الخمر) **فَجاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إنَّ الخَمْرَ قدْ حُرِّمَتْ، فقالَ أبو طَلْحَةَ: قُمْ يا أنَسُ فأهْرِقْها، فأهْرَقْتُها**»[1].

جاءَهُمْ آتٍ: شخص واحد ثقة حصل به العلم، وأهرقوا الخمر.

قال الشافعي: خبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنتهى إليه، ويُفتى به، ويَقبلُهُ كل أحد[2].

وعلى العمل بخبر الواحد التابعون كافة، ولم ينكر أحدٌ ذلك، ولا اعترض عليه[3].

قال شيخ الإسلام: "ما يرويه الواحد العدل يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الأولين والآخرين، والسلف لم يكن بينهم في ذلك نزاع"[4].

فلم يظهر التكلم في حجية خبر الواحد إلا بين المبتدعة[5].

---

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٥٥٨٢... وصحيح مسلم، ١٩٨٠.

(٢) الرسالة للشافعي، ص٤٥١.

(٣) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص٣١.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة، ابن الموصلي، م٢ ص٣٧٢ بتصرف.

(٥) فضل الاعتزال، ص ١٨٥.

وأهل السُّنة والجماعة لا يُفرِّقون بين الحديث المتواتر وبين خبر الآحاد، ويحتجُّون بالمتواتر والآحاد في العقائد والأحكام على حدٍّ سواءٍ.

قال ابن حزم -رحمه الله: «فإنَّ جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم»[١].

وقال السَّمْعَاني -رحمه الله: «إنَّ الخبر إذا صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الثِّقاتُ والأئِمَّة، وأسندَه خَلَفُهم عن سَلَفِهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقَّته الأُمَّة بالقبول؛ فإنه يوجب العِلْمَ، وأما من قال لا بد من طريق التواتر، فقائل ذلك يريد ردَّ الأخبار»[٢].

فلم يظهر إنكار حجية خبر الآحاد كما قلت إلا بين المبتدعة وهدفهم من هذا ردُّ السنة.

وهنا قد يسأل سائل: لماذا يريد المبتدعة أن يهجروا السنَّة؟

والجواب: لأنَّه إذا هُجرت السنَّة وجد المبتدعة ميدانًا للكلام في نصوص الشرع وتأويلها وَفْق أهوائهم.

فالتسليم بكل خبرٍ صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا قاطعٌ لمادة البدعة، وحاسمٌ لكل من يريد العبث في دين الله.

فالسُّنة تقمع البدعة.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ١٠٨.

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث، ص ٣٤-٣٥.

ولا يَعرف أهل البدع أنَّ التنكُّر لأخبار الآحاد هو بدعة إضافية، فالتشكيك في حجية خبر الآحاد هو قول مُبتدَع مُحْدَث، لا أصل له في الشريعة.

وفي الحديث المتفق على صحته: «**مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ**»[1].

فإنكار حجية خبر الآحاد بدعة، و «**كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ**»[2].

فهذه بدعة إضافية عند المبتدعة.

لكن قد يقول قائل: خبر الآحاد يفيد الظن؛ لذلك ما نأخذ به في العقيدة.

والجواب: الظن الذي لا يُعتد به عقليًّا هو الظن المَرْجُوح، أو الظن الذي لا يُفيد عِلْمًا.

وليست أحاديث الآحاد من ذلك في شيء.

فهذا الظن المرجوح أو الذي لا يفيد علمًا، لا يُؤخذ به لا في الأحكام ولا في العقائد، أما خبر الواحد الصحيح الثابت فهذا قرين اليقين، فأحاديث الآحاد ليست من الظن المرجوح، وإنما من الظن الذي هو قرين اليقين؛ ولذلك ورد في القرآن التعبير عن اليقين بالظن من هذا النوع الذي هو قرين اليقين في قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠].

---

(١) متفق عليه... صحيح البخاري، ح: ٢٦٧٩... وصحيح مسلم، ح: ١٧١٨.

(٢) صحيح مسلم، ح: ٨٦٧ باختلاف يسير.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة:١١٨].

إذن فالقول بالأخذ بخبر الآحاد في باب الأحكام وتركه في باب العقائد، هو قول بدعيٌّ سقيمٌ، ثم من أين لهم بهذا التقسيم؟

أين الدليل الذي يُعْتَدُّ به على تَرْك العمل بحديث الآحاد في العقيدة؟

هل ثبَت ذلك بآية قرآنية أو حديث نبوي صحيح؟!

وهل ثبَت عن الصحابة رضي الله عنهم العمل بذلك أو التصريح به؟!

وهل ثبَت عن أحدٍ من الصحابة ردُّ ما أخبره به أحدُهم من أحاديثَ نبوية، تتضمن أمورًا عقائدية؟

وهل فعل ذلك أحد من أئمة التابعين ومن بعدهم؟

ما من أحدٍ من الصحابة أو التابعين، أو أئمة الهُدى رَدَّ خبر الواحد الذي يتضمَّن أمورًا عقائدية؛ كانوا يتقبَّلون الخبر بالقَبول واليقين، طالما ثبَتتْ صحته.

وهذا ورد في نصوص كثيرة كأحاديث الرؤية -رؤية الله يوم القيامة- وتكليم الله، ونزوله في ثلث الليل الأخير كل ليلة.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً**»[١].

فمن الذي يُبلغ الآية؟

---

(١) صحيح البخاري، ح: ٣٤٦١.

شخصٌ واحدٌ هو مَن يقوم بالتبليغ، وتقوم به الحجَّة على المُبَلَّغ، ويحصُلُ للمُبَلَّغ بذلك العلم، وادّعاء أنَّ العلم والحجة لا تقوم بإخبار المبلِّغ الواحد، فهذا يعني أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه ليس له معنًى.

فلو لم تقم الحجة بخبر الواحد لما أمر صلى الله عليه وسلم بذلك.

وقد أرسل صلى الله عليه وسلم عليًّا، ومعاذًا، وأبا موسى -رضي الله عنهم- في أوقات مختلفة إلى اليمن؛ يُبلّغُون عنه؛ ويُعلِّمُون الناس الدين والعقيدة والأحكام.

وهذا دليلٌ قاطِعٌ على أنَّ العقيدة تَثْبُت بخبر الواحد، وتقوم به الحُجَّة على الناس، وإلا ما اكتفى صلى الله عليه وسلم بِشخصٍ بمُفْرَدِهِ، ولأرسل معه من يَتواتر به النقل.

ولذلك السلف أجمعوا على قَبول أحاديث الآحاد في العقائد، وإثبات صفات الرب تعالى، والأمور الغيبية بخبر الواحد.

ثم ما الفرق بين تسليمك لخبر الآحاد في الأحكام، ورفضه في باب العقائد؟

الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا هذا.

قال ابن القيم -رحمه الله: «ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بحديث الآحاد؛ كما لا يمتنع إثبات الأحكام الشرعية بها، فما الفرق بين باب الشرع وباب الخبر، بحيث يُحتجُّ بها في أحدهما دون الآخر، وهذا التفريق باطل بإجماع

الأمة، فإنها لم تَزَل تَحتجُّ بهذه الأحاديث في الخَبَرِيَّاتِ، كما تَحتجُّ بها في أبواب الفقه، ولم يزل الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وأهل الحديث والسُّنة يحتجُّون بهذه الأخبار في مسائل الصفات، والقدر، والأسماء، والأحكام، ولم يُنقل عن أحد منهم ألبتة أنه جَوَّز الاحتجاج بخبر الآحاد في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين؟»[1].

وتَرْكُ العمل بأحاديث الآحاد في العقائد هو تخطئةٌ للسلف في اعتقادها، واتخاذها دينًا، وتخطئةٌ لإجماع الأمة، ومخالفةٌ لسبيل المؤمنين، ويكفي بذلك فتنة في الدين.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥].

فالأدلَّة لا تُحصى من الكتاب والسُّنة، وإجماع الصحابة وسلف الأمة، تدلُّ دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في كل أبواب الشريعة، سواءً أكان في الأمور الاعتقادية أو الأمور العملية، وأما التفريقُ بينهما فبدعةٌ أحدثها أهل الأهواء من المبتدعة؛ ليردوا الأدلة التي تنقض بدعهم، ولم يُنقل عن أحد من سلف هذه الأمة أنه جوَّز الاحتجاج بحديث الآحاد في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، بل لا يُعرف خلاف في هذه المسألة عن أحد ممن يُعتدُّ به من أهل العلم.

---

(١) الصواعق المرسلة، ابن القيم، ج ٢ / ٤١٢.

قال الإمام ابن عبد البر في كتابه التمهيد: «وكلُّهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعًا ودينًا في معتقده، على ذلك جميع أهل السُنَّة»[١].

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله: «وَأَمَّا الْمَقَامُ الثَّامِنُ: وَهُوَ انْعِقَادُ الْإِجْمَاعِ الْمَعْلُومِ الْمُتَيَقَّنِ عَلَى قَبُولِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى بِهَا، فَهَذَا لَا يَشُكُّ فِيهِ مَنْ لَهُ أَقَلُّ خِبْرَةٍ بِالْمَنْقُولِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ هُمُ الَّذِينَ رَوَوْا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَتَلَقَّاهَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِالْقَبُولِ وَلَمْ يُنْكِرْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ رَوَاهَا، ثُمَّ تَلَقَّاهَا عَنْهُمْ جَمِيعُ التَّابِعِينَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَمَنْ سَمِعَهَا مِنْهُمْ تَلَقَّاهَا بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ لَهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا مِنْهُمْ تَلَقَّاهَا عَنِ التَّابِعِينَ كَذَلِكَ وَكَذَلِكَ تَابِعُ التَّابِعِينَ مَعَ التَّابِعِينَ»[٢].

وفي الواقع: فالقول بأن حديث الآحاد لا تثبُتُ به عقيدة، هو قول في حد ذاته عقيدة، فما هو الدليل على صحته؟

فإما أن يأتوا بالدليل القاطع المتواتر على صحة هذا القول، وإلا فهم مُتناقضون.

---

(١) التمهيد، ١/ ٨.

(٢)مختصر الصواعق المرسلة.

وبناءً على ذلك: فإنَّ ردَّ خبر الآحاد في العقائد منهجٌ بدعيٌّ يخالف إجماع أهل السنة والجماعة، وهو: «خرق لإجماع الصحابة المعلوم بالضرورة وإجماع التابعين، وإجماع أئمة الإسلام»[1].

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ٢/ ٣٦٠.

## ٩- ما هي الإشكالات العقلية التي تواجه منكري السُّنة؟

ج: هناك عدَّة إشكالات تواجه منكري السُّنة، وهي إشكالات تُبيّن سخافة هذا الفكر ومخالفته لبديهيات القرآن، ولقطعيات عقليةٍ تُفهم من دين الإسلام.

**الإشكال الأول:**

كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته يُصلُّون إلى بيت المقدس لسنوات طويلة؟

فقد كانت قبلة المسلمين لسنوات طويلة نحو بيت المقدس، وهذا الأمر لم يَرِدْ في القرآن.

لم يرد في أي آية الأمرُ بالصلاة نحو بيت المقدس.

فلم تكن الصلاة نحو بيت المقدس إلا أمرًا نبويًّا.

ولم يخبر القرآن في هذا الخصوص إلا بقصة تحوُّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

إذن السؤال لكل مُنكِر للسنة... لكل متجاهل للخبر النبوي... لكل مُشكِّك في قيمة الحديث النبوي التشريعية: على أيِّ أساس كان الصحابة يُصلُّون لبيت المقدس؟

**ولا يوجد جواب إلا:** على أساس الأمر النبوي، وهو الجواب الوحيد الصحيح.

فالصحابة كلهم صلَّوا نحو بيت المقدس بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وليس بأمرٍ وَرَدَ في القرآن.

فالقرآن تحدَّث فقط عن تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة:١٤٢].

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ: السفهاء سيتعجَّبون لماذا تحوَّل المسلمون عن قبلتهم التي كانوا عليها، لماذا تحوَّلوا عن بيت المقدس.

وانظرْ للآية التالية مباشرةً وتدَبَّرْها جيدًا:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:١٤٣].

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا: قبلة بيت المقدس.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ: فالقبلة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم كانت واجبةَ الاتباع.

وهذه القبلة كانت تمييزًا لمن يتَّبع الرسول... يتبع السُّنة، عمن ينقلب على عقبيه.

إذن كل منكر للسنة، ومنكر لكون الحديث النبوي تشريعًا مستقلًّا، هو منقلب على عقبيه بصريح هذه الآية.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:١٤٣]

يقول تعالى: إنما شرعنا لك -يا محمد- التوجُّه أولًا إلى بيت المقدس، ثم صرفْناك عنها إلى الكعبة، ليظهر حالُ من يَتَّبعك ويُطيعك ويستقبل معك حيثما توجَّهتَ مِمَّن ينقلب على عَقبَيْه، أي: مُرْتَدًّا عن دينه(١).

أيُّ تحذير إلهي أكثر من هذا لمن يرفض السُّنة، ولا يعتبرها وحيًا إلهيًّا؟

وتُختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣].

فلن يُضيِّع الله إيمان مَن كان يصلي نحو بيت المقدس، ولم تقل الآية: وما كان الله ليضيع صلاتكم، وإنما قالت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣].

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة نحو بيت المقدس هو إيمانٌ.

**الإشكال الثاني**:

من آيات القرآن التي تقطع بضلال مذهب مُنكري السُّنة، قول الله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٥].

لم يأذن الله -عزَّ وجلَّ- في آية واحدة من القرآن بقطع لينة -نخلة- أو تركها.

---

(١) تفسير ابن كثير للآية.

فالذي أَذِنَ بقطع النخيل في غزوة بني النضير هو النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وحين شقَّ على اليهود قطعُ النخيل، أخبر الله -عزَّ وجلَّ- أنه ما قُطعت من نخلة أو تركت فبإذن الله... بأمر الله: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٥]

إذن البديهة القطعية المستفادة من هذه الآية أنَّ: الأمر النبوي بقطع النخيل في هذه الغزوة هو أمر إلهيٌّ: ﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٥].

فالأمر النبوي هو وحيٌ إلهيٌّ.

**الإشكال الثالث:**

حَكَمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في كثير من القضايا بالحديث النبوي، وألزم الناس بالحديث النبوي، ووجبت طاعته بالحديث النبوي، وعقوبة المخالفة كانت لمن خالف الحديث النبوي.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

والذي قضى به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية لم يكن تنفيذًا لحكمٍ شرعيٍّ موجود في القرآن، وإنما الحُكم كان من السُّنة النبوية في قضية سُقيا الزبير للماء.

وأخبر القرآن أن الإنسان لا يعد مؤمنًا لو لم يخضع لقضاء النبي صلى الله عليه وسلم، وقضاؤه كان بالسُّنة وليس بالقرآن: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

﴿يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

فلا بد من التسليم التام للحديث النبوي والرضا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وإلا ما حصَّلوا الإيمان.

فإنكار السُّنة فكرة شاذَّة ليس لها عَلاقة بالقرآن، ولا بدين الإسلام.

**الإشكال الرابع:**

القرآن الكريم يُطلق الأمر بالتأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يَستثنِ أو يُقيِّد أو يُخصِّص هذا التأسي، بل هو مطلق التأسي، ومطلق الطاعة، ومطلق الاتباع، ومطلق التحذير من مخالفته صلى الله عليه وسلم.

فلو كانت طاعة الله هي الطاعة الواجبة فقط، لقُيِّد التأسي، وقُيد الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم بما يوافق فقط القرآن.

وبما أنَّ القرآن هو الرسالة الوحيدة التي بين أيدي مُنكري السُّنة، إذن لا بد أن يُوضح القرآن بصورة قاطعة لا تحتمل الشك تقييدَ طاعة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا يُطاع إلا فيما يأتي به القرآن الكريم... لا يُطاع إلا فيما وافق القرآن.

لكن المدهش أنَّ عكس ذلك تمامًا في القرآن الكريم.

ففي القرآن مُطلق الأمر بالطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومطلق الأمر بالتأسي به وبلا تقييد.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١].

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء:٨٠].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤].

والآيات في هذا كثيرة.

**الإشكال الخامس:**

مِن المعلوم يقينًا أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لم ينُصَّ على كل جزئية من جزئيات الشريعة في القرآن.

وإنما القرآن مُبيِّن للأصول والقواعد العامة.

فأركان الصلاة، وواجباتها، وسننها، وعدد الركعات، وعدد الصلوات نفسها، ومواقيت الصلوات الخمس، وطريقة الصلاة، كلُّ هذا لا وجود له في القرآن الكريم!

ثم أين في القرآن صيغةُ الأذان؟

وأين في القرآن أنصبةُ الزكاة؟

وأين في القرآن تفصيلُ مناسك الحج؟

هناك آلاف الأحكام في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق لا وجود لها تفصيليٌّ في كتاب الله.

فالسُّنة ضرورة لتفصيل الأحكام ببديهة القرآن.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يُبين الذِّكر... بماذا؟ بالسُّنة.

فالسنة بيان وتفصيل وتشريع ببديهة فهم القرآن، وضرورة تطبيق القرآن، وضرورة إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وغير ذلك من أبواب العبادات والمعاملات.

السُّنة ضرورة لفهم القرآن وتطبيقِهِ.

**الإشكال السادس:**

واقع الأمة مُطبِق على أن السُّنَّة وحيٌ إلهيٌّ، فهذا واقع الأمة عبر كل تاريخها، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم كان يُخاطِب الناس باعتبار أنَّ السُّنة وحي إلهيٌّ، وهذا كان حال الصحابة مع السُّنة فهم يعتبرونها وحيًا إلهيًّا، وكان هذا حال الأمة عبر كل تاريخها مع السنة.

ولذلك أوصى صلى الله عليه وسلم بتبليغ سُنته للناس: «**نضَّر اللهُ امرأً سَمِع منَّا حديثًا فحفِظَه حتى يُبَلِّغَهُ فرُبَّ مُبلَّغٍ أحفظُ له من سامعٍ**»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

فلماذا يأمُرُ صلى الله عليه وسلم بتبليغ سُنته للناس.

ولماذا يقول: «**رُبَّ مُبلَّغٍ أحفظُ له من سامعٍ**».

أليس في هذا دليل أن السُّنة فيها فقه سيُستنبط ويُطبق.

وهذا لا يكون إلا لو كانت السُّنة حُجة شرعية تَثبُتُ بها الأحكام وفقه الدين.

**ثم السؤال الثاني: لماذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكرر الحديث «ولا يَسرُدُهُ سَردًا»**[١].

كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حتى يُساعد الصحابة على حفظ الحديث، وضبط لفظ الحديث.

**ثم السؤال الثالث: لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثلة في شرحه؟**

**لماذا كان يستعمل الوسائل التوضيحية مثل: تشبيك الأصابع، والإقران بين السبَّابة والوسطى، والرسم، لبيان المعاني الشرعية؟**

**لماذا يفعل كل هذا إذا كان الحديث النبوي ليست له قيمة تشريعية؟**

**لماذا كان الصحابة يحفظون الحديث زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟**

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه: «**كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه**»[٢].

---

(١) مسند أحمد، ح: ٢٥٠٧٧، درجة الحديث: حسن.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي، الخطيب البغدادي ١-٣٦٣.

وكان أبو هريرة -رضي الله عنه- يُخصِّص ثُلُث الليل؛ لحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لماذا هذا الحرص على حفظ الحديث؟

ثم سؤال آخر: لماذا حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر من الكذب عليه، فقال: «**مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»؟[1].

وهذا الحديث متواترٌ، رواه مائتا صحابي، فلماذا النبي صلى الله عليه وسلم يحذر أُمَّته أشدَّ التحذير من الكذب عليه؟

**لماذا يُحذِّر أمته من افتراء أي حديث عليه؟**

**لماذا طالما أنَّ السُّنة ليست لها حُجية، لماذا هذا التحذير الشديد والوعيد بالنار؟**

**ثم كيف تشتمل كثير من الأحاديث على أمور غيبية: أحاديث تتكلّم عن أمور غيبية؟**

**وورود أمور غيبية في الأحاديث دليل أن السُّنة وحيٌ يوحى، وإلا فكيف علم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأمور الغيبية إن لم تكن وحيًا من الله؟**

فإنكار السنة يطرح إشكالاتٍ لا حصر لها.

**الإشكال السابع:**

(١) صحيح البخاري، ح: ١٢٩١.

كيف أجمعت الأُمَّة عبر كل تاريخها على بديهة اعتبار الحديث هو المصدر الثاني للتشريع، فحرصت الأمة على نقل الحرف من فمه صلى الله عليه وسلم، حرصت على ضبط كل حرف خرج من فمه الشريف؟

كيف أطبقت الأمة على العمل بالسُّنة والقطع بحُجيتها، ولم يشِذَّ في هذا شخص واحد من سلف هذه الأمة، ولم يشذَّ في هذا صحابي واحد، أو تابعي واحد، أو أحد من تابعي التابعين، فالكل مُطبِق على كون السُّنة هي المصدر الثاني للتشريع؟

كيف يُطبِق سلف هذه الأمة على هذه البديهة؟

كيف يُطبِق خير هذه الأمة: الصحابة على اعتبار السُّنة المصدر الثاني للتشريع وهم الذين زكَّاهم الله في كتابه؟

الصحابة هم أفهم الناس لدين الله، وأعلمهم بمراد الشرع، وأتقاهم لله، كيف أطبقوا على التسليم بكون الحديث هو المصدر الثاني للتشريع؟

والآن سؤالي: ما هو الفرق بين مُنكِر السنة الذي لا يريد أن يسمع شيئًا من النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: عندي القرآن وكفى، وبين المنافقين في عهد النبوَّة؟

المنافقون كذلك لم يكونوا يريدون الاستماع للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾ [المائدة:٤١].

﴿لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾: لا يأتون للنبي صلى الله عليه وسلم.

هم لا يحتاجونه.

فالسؤال: ما الفرق بين مُنكِر السنة وبين المنافق الذي يرفض المجيء للنبي صلى الله عليه وسلم؟

فالمنافق يزعم أنه يطيع الإسلام بلسانه، لكنها في الواقع طاعة كاذبة: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣﴾ [النور:٥٣].

يقول الله –سبحانه وتعالى– لهم: ﴿لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌ﴾ [النور:٥٣] فهذه طاعة باللسان فقط، وليست بالقلب... طاعة منافق، وليس طاعة مسلم.

لكن من باب الإنصاف نقول: إنَّ المنافق أكثر توقيرًا للسُّنة من منكر السُّنة.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّ﴾ [النور:٥٣] لئن أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأي أمر سينفذون أمره.

لكن منكر السنة سيقول للنبي صلى الله عليه وسلم: لا أُسلِّم بحديثك، وليس لك عليَّ أمر.

فالمنافق أكثر احترامًا للسُّنة، وأكثر توقيرًا للنبي صلى الله عليه وسلم من مُنكر السُّنة.

وهنا لو انتبهت في الآية السابقة ستجد أن اتباع السنة بديهة واجبة عند كل مَن يزعم أنه مسلم: ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ فهذا مقتضى حال المسلم، وبديهة من بديهيات تسليمه بنبوَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

**الإشكال الثامن:**

المشكلة الأكبر في إنكار السنة أنَّها بوَّابة الإلحاد في الدين.

فلو افترضنا أنَّ شخصًا قال: الصلاة هي أن تتصل بالله بمجرد النظر للسماء، وليس هناك ركوع، ولا سجود، ولا فروض، ولا ظُهر، ولا عصر، ولا مغرب.

هنا لن يجد منكر السنة أمام هذا الإلحاد في الدين أيَّ نقدٍ أو ردٍّ.

لأنه لن يملك دليلًا على تخطئة هذا الإلحاد.

ولن يجد في القرآن ما يُسعفه من رد هذا الإلحاد.

لذلك فإنكار السنة هو بوَّابة النفاق والإلحاد، وهو بنفسه يؤدي إلى النفاق والإلحاد، وهو مدخل المنافقين والملحدين في الدين.

**سلَّم الله شبابَ أُمتنا من هذا الزيغ والضلال**

١٠- لكن الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام:٣٨] فالقرآن فيه كل شيء، فما حاجتنا للسُّنة؟

ج: دعنا نقرأ الآية كاملةً: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام:٣٨].

الكتاب بنص الآية هو: **"اللوح المحفوظ"**، فاللوح المحفوظ فيه خبر كل دابة، وكل مخلوق، فهل في القرآن خبر كل دابة وكل مخلوق؟

الجواب: لا.

فـ"الكتاب" في الآية هو: اللوح المحفوظ.

لكن قد يسأل سائل ويقول: وماذا عن قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]؟

والجواب: **القرآن دستور كامل يأتي بالقواعد الكلية، أما التفاصيل لهذه القواعد فيُحال فيها للحديث.**

وهناك بديهة يعرفها المشرِّعون عبر العالم، وهي أنَّ: الدستور قواعد، وليس قوانين.

يقول المشرعون: لا يصحُّ أن يكون في الدستور مواد مفسِّرة.

فالتفسير يكون في كتب القانون.

ولكلام الله المثل الأعلى، فهذا حال الكتاب والسُّنة فـ: القرآن دستور، والسُّنة مُفسِّرة للقواعد الكلية في القرآن.

ثم إنَّه من المعلوم يقينًا أنَّ: القرآن لم ترد فيه كلُّ جزئية من جزئيات الشريعة.

فليس في القرآن من أحكام الصلاة إلا تقريرُ وجوبها، والأمر بحسن أدائها.

وليس في القرآن من أحكام الزكاة إلا الأمرُ بأدائها، وبيان مصارفها.

والكلام نفسه بالنسبة للحج والصيام.

أما كيفية إقامة الصلاة، وأركان الصلاة، وواجباتها، وسُننها، وعدد الركعات، وعدد الصلوات، ومواقيت الصلوات، وكيفية السجود والركوع، فكل هذه الأمور لا وجود لها في القرآن الكريم، وإنما هي في السُّنة فقط.

وقل الشيء نفسه في أركان الإسلام الأخرى.

فكل الأحكام التي عليها مدارُ الدين يُبيِّن فيها القرآنُ الأصولَ والقواعد العامة، بينما التفاصيل تكون في السُّنة النبوية.

والقرآن تبيان لكل شيء من وجهٍ آخر، فهو تبيان للقواعد العامة، وفي الوقت نفسه تبيان لطريق الإحالة لفهم هذه القواعد وتطبيقها:

تبيان للقواعد العامة: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة:١١٠].

وتبيان لطريق الإحالة لفهم وتطبيق وتفسير كيف نقيم الصلاة: بالإحالة إلى الطريق الذي تُعرف به تفاصيل الأحكام.

فهو يُحيل إلى السُّنة لمعرفة تفاصيل الأحكام: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

فالقرآن يحيل إلى السنة المبيِّنَة.

فالقرآن يأمرك بإقامة الصلاة، ويحيلك للسُّنة حتى تعرف تفاصيل وكيفية إقامة الصلاة.

إذن بهذا يكون القرآن تبيانًا لكل شيء فهو: تبيان للقواعد العامة، وتبيان لطريق الإحالة الذي تفهم به كيف تقيم الصلاة.

وكما قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه: «**ورَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعليه يَنْزِلُ القُرْآنُ، وَهو يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَما عَمِلَ به مِن شيءٍ عَمِلْنَا بهِ**»[1].

فهو صلى الله عليه وسلم يبين لهم التطبيق العملي: (يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ) في مناسك هذا الدين.

إذن فالقرآن يحيل للسُّنة التي فيها تفصيل القواعد.

وهنا قد يُطرح سؤال في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت:٥١]، فيقول السائل: إذن فالقرآن كافٍ؟

والجواب: لنقرأ الآية والآية التي قبلها: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت:٥٠، ٥١]

(١) صحيح مسلم، ح: ١٢١٨.

كان الكفار يريدون آيةً على صدق نبوَّتِهِ صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم الله -عزَّ وجلَّ- بأعظم آية، وهي هذا الكتاب -القرآن الكريم- ألا يكيفهم هذا الكتاب المعجز بتشريعاته ومعناه وقصصه، والمعجز بلفظه، والمعجز بدقائق أخباره، والمعجز بلهفة القلوب إليه، والمعجز بخطابه لوجدانِ كل إنسان على حدةٍ بحسب همه وما يشغله، ألم يكفهم هذا القرآن الذي نزل على رجل أُمي يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، ألم يكفهم كآية على صحة هذا الدين؟

فهذا هو تفسير الآية، وليس أنَّ القرآن يغني عن السُّنة.

## ١١- كيف تؤمنون بعذاب القبر وعذاب القبر لم يرد في القرآن؟

ج: أولًا: السُّنة كما فصَّلنا هي تشريعٌ مستقلٌّ كالقرآن.

فقد يرد في السُّنة النبوية حكم شرعي مستقلٌّ ليس في القرآن.

وعذاب القبر ونعيمه وردت فيه أحاديث متواترة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما أحاديثُ عذاب القبر، ومسألة مُنكَر ونكير، فكثيرة متواترة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم»(١).

ومثال ذلك ما في الصحيحين:

«**مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بحَائِطٍ فَسَمِعَ صَوْتَ إنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ في قُبُورِهِمَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ**»(٢).

وفي صحيح مسلم: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ مِن أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٣).

وفي صحيح مسلم أيضًا: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**فَلَوْلَا أَنْ لا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِن عَذَابِ القَبْرِ الذي أَسْمَعُ منه ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بوَجْهِهِ، فَقالَ: تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِن عَذَابِ النَّارِ، قالوا: نَعُوذُ باللَّهِ مِن عَذَابِ النَّارِ، فَقالَ: تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِن عَذَابِ القَبْرِ، قالوا: نَعُوذُ باللَّهِ مِن عَذَابِ القَبْرِ**»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوي، م ٤ ص ٢٨٥.

(٢) صحيح البخاري، ح: ٢١٦.

(٣) صحيح مسلم، ح: ٥٨٨.

(٤) صحيح مسلم، ح: ٢٨٦٧.

فقد تواترت الأخبارُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوتِ عذاب القبر ونعيمه، فيجب اعتقادُ ذلك، والإيمان به، ولا نتكلَّم عن كيفيته؛ إذ ليس للعقل وقوفٌ على كيفيتِه؛ لكونه لا عهدَ له في هذه الدار[١].

وكلُّ مَن مات وهو مستحقٌّ للعذاب يُعذَّب، سواءً دُفن أو لم يُدفن.

فعذاب القبر ونعيمه حقٌّ.

ثانيًا: عذاب القبر لم يثبت فقط بالسُّنة المتواترة بل هو ثابتٌ أيضًا بالقرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٦].

فهذا عذابٌ حاصلٌ قبل يوم القيامة بظاهر الآية بلا شك.

ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور:٤٥، ٤٧]

روى الطبري عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الطور:٤٧] قال: هو عذابُ القبر قبل عذابِ يومِ القيامة.

وهنا قد يسأل سائل فيقول: لكن الله -عزَّ وجلَّ- يخبر عن الكافرين يوم القيامة أنهم سيقولون: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢].

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ثبوت عذاب القبر ونعيمه.

الجواب: وهل نحن أنكرنا أننا سنُبعث يوم القيامة من مرقدنا؟

هذا لا ينفي عذاب القبر.

وعذاب القبر بالنسبة لأهوال القيامة كأنه راحة... كأنه مرقدٌ.

أيضًا لا ننسى أننا بين النفختين سنرقد.

سترقد كل مخلوقات الله -عزَّ وجلَّ- قبل أن تُبعث يوم القيامة.

فإذا نُفخ النفخة الثانية خرج الجميع إلى محشرهم.

وهنا أودُّ أن أُبشِّر المؤمنين بأن حياة المؤمن في قبره ستمُرُّ سريعًا، كما سيمُرُّ عليه يوم القيامة سريعًا، قال الله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٤].

فالحساب ينقضي في نصف نهار قبل وقت المقيل.

قبل وقت القيلولة سيكون أهل الجنة على سُرُرهم متقابلين.

**نسأل الله أن يجعلنا معهم**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يومُ القيامَةِ على المؤمنينَ كقَدْرِ ما بينَ الظُّهرِ والعصرِ**»[1].

---

(١) صحيح الجامع، ح: ٨١٩٣.

## ١٢- ما سرُّ الأحاديث الكثيرة التي رواها أبو هريرة؟

ج: أبو هريرة -رضي الله عنه- كان رأسًا في القرآن والسُّنة كما يقول الذهبي.

قال الذهبي: «أبو هريرة سيد الحُفاظ الأثبات... أين مثل أبي هريرة في حفظه، وسَعَة علمه.

إليه المنتهى في حفظ ما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأدائه بحروفه»[1].

وقال عنه الشافعي: أبو هريرة أحفظُ مَن روى الحديث في دهره.

وكان لسَعةِ علمه ينزل الحسين بن علي رضي الله عنهما عند رأيه[2].

والسرُّ في فقه أبي هريرة وحفظِهِ لهذا العدد من الأحاديث أنه كان ألزَمَ الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت يدُهُ مع يدِهِ يدور معه حيث دار، إلى أن مات صلى الله عليه وسلم ولذلك كثُر حديثه.

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب كما ورد في صحيح سنن الترمذي: «يا أبا هُرَيرةَ، أنتَ كُنْتَ ألزَمَنا لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأحفَظَنا لحديثِه»[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء م٢ ص٢٧ وما بعدها.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، م٣ ص٩٠.

(٣) صحيح سنن الترمذي، ح: ٣٨٣٦.

فهذا شهادة من الصحابي الجليل عبد الله بن عمر في حق أبي هريرة رضي الله عنهما.

ففي السنوات الأربع الأخيرة للنبي صلى الله عليه وسلم كان أبو هريرة ملازمًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ملازمةً تامَّةً، كما يقول ابن حجر: «كان يدور معه، ويدخل بيته، ويحج ويغزو معه، يرافقه في حله وترحاله، في ليله ونهاره حتى حمل عنه العلم الغزير، وصار مرجع الناس، ومرجع الصحابة في الفتيا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم»(١).

وقد رَوى عن أبي هريرة حوالي ثمانية وعشرين صحابيًّا؛ وهذا لثقتهم في علمه، وقُربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى عنه زيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأُبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعائشة، وغيرهُمُ الكثير رضي الله عنهم، كما روى عنه وتتلمذ عليه مئات من التابعين، فقد روى عنه من التابعين حوالي ثمانمائة تابعي.

قال البخاري: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر(٢).

وأيضًا ما ميَّز أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّه تأخرت وفاته، واحتاج الناس إلى علمه، حيث إنَّه عاش إلى ما بعد الخمسين من الهجرة، فأقبل عليه طلاب العلم.

---

(١) الإصابة، ابن حجر، م٧ ص٤٣٣.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ م١ ص٣٦. وابن حجر: الإصابة م٤ ص ٢٠٥.

وما ميَّزه أيضًا قُوَّة حفظه.

وقوة حفظ أبي هريرة كانت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال أبو هريرة: «**قُلْتُ: يَا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ؟ قَالَ: ابْسُطْ رِدَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ضُمَّهُ فَضَمَمْتُهُ، فَما نَسِيتُ شيئًا بَعْدَهُ**»[1].

وذات يومٍ دعا أبو هريرة ربَّه قائلًا: أسألُك عِلمًا لا يُنسَى، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم: آمين[2].

فكان -رضي الله عنه- أحفظَ الناس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يُخصِّص ثُلُث الليل لحفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وهنا السؤال المهم: كم عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه؟

والجواب: عدد الأحاديث التي رواها أبو هريرة بغير المكرر هي: **١٣٣٦ حديثًا**.

وهذا لا يصعُبُ على إنسان حفظه.

بل هذا العدد من الأحاديث يحفظه طالب العلم في ستة أشهر.

وكثير من طلاب العلم اليوم يحفظون بلوغ المرام، وعدد أحاديث بلوغ المرام أكبر من هذا العدد.

---

(١) صحيح البخاري، ح: ١١٩.

(٢) الإصابة، ابن حجر، م٤ ص٢٠٨.

والسؤال الأهم: كم عدد الأحاديث التي انفرد أبو هريرة بروايتها؟

والجواب: **انفرد أبو هريرة -رضي الله عنه- برواية ٤٢ حديثًا فقط!**

تخيل!

كل الهجمة على أبي هريرة من أجل ٤٢ حديثًا!

طبعا مَن يهاجمون أبا هريرة لا يعرفون هذه المعلومات، ولا يعرفون إلا الهجوم على الدين، فيأخذون أبا هريرة طريقًا للهجوم على الإسلام والسُّنة.

فأبو هريرة صار رمزًا لرواية الحديث.

ولما أرادوا الهجوم على الحديث بحثوا عن الرمز، فذهبوا لأبي هريرة.

وإلا فلو كانوا يعرفون أن أبا هريرة لم ينفرد إلا باثنين وأربعين حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحوا من كذبهم.

ذات يوم قعد محمد بن عُمارة بن عمرو بن حزم الأنصاري في مجلس فيه أبي هريرة -رضي الله عنه- وكان المجلس يضمُّ كبار الصحابة، فجعل أبو هريرة يُحدِّثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث، فلا يعرفه بعضهم ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم، حتى فعل ذلك مرارًا.

قال محمد بن عُمارة: فعرفت يومئذ أنه أحفظُ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

---

(١) التاريخ الكبير، البخاري، م١ ص١٨٦.

وأراد مروان ابن الحكم أن يختبر قوة حفظ أبي هريرة فدعاه وأقعد كاتبه خلف السرير، وجعل يسأل أبا هريرة في الأحاديث، وأبو هريرة يجيب، والكاتب يكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول -بعد مضي عام- دعاه مرةً أخرى، فسأله الأسئلة نفسها. يقول الكاتب: فما زاد أبو هريرة ولا نقص ولا قدَّم ولا أخَّر[١].

فأبو هريرة -رضي الله عنه- إمام الحديث من الصحابة، وقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحببه الله إلى المؤمنين.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا، وَأُمَّهُ إلى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِم المُؤْمِنِينَ**».

يقول أبو هريرة: «فَما خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بي وَلَا يَرَانِي إلَّا أَحَبَّنِي»[٢].

فحب أبي هريرة علامة أهل الإيمان.

نُشهد الله على حبه.

رضي الله عنه وأرضاه.

(١) الحاكم في المستدرك، ح: ٦١٦٤.

(٢) صحيح مسلم، ح: ٢٤٩١.

١٣- هل هناك أحاديث تفرَّد البخاري بها في صحيحه؟

ج: هذا كلامٌ لا يقوله إنسان يعرف شيئًا في علم الحديث.

وللأسف هذه الأسئلة المضحكة تنتشر بين نُفاة السنة.

فالبخاري جمع أغلب ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو فقط قام بتوثيق نقل كل حرف خرج من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام بتوثيق الروايات، ووضع لذلك شروطًا قاسيةً بحيث يصبح كتابه أدقَّ كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله.

فهو جمع الأحاديث بضبط وتوثيق الرواية لأبعد مدًى.

كان هذا مشروع البخاري.

فقد جمع هذه الأحاديث ثم رتَّبها وقسَّمها وطرَّزها بعناوينه الفقهية، وأثبَتَ طُرُقَها المتصلة منه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

وطبعًا كل حديث في البخاري بالبداهة مكتوبٌ ومحفوظٌ منذ زمن الصحابة.

فكل حديث في البخاري تستطيع أن تعرف مصدره ومرجعه ورواته، لكن البخاري جمع أغلب ما صحَّ من أقوى الطرق، وضَبَط الرواية، وبوَّب الأبواب.

وأغلب ما في موطأ مالك على سبيل المثال موجودٌ في صحيح البخاري، والموطأ يروي فيه مالك بعض أحاديثه عن نافع عن ابن عمر.

فبين نافع الذي ينقل عنه مالك وبين النبي صلى الله عليه وسلم عبدُ الله بن عمر الصحابي الجليل.

فالموطأ ذلك الكتاب عظيم الشأنِ، القريب العهد بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم موجودٌ أغلبه في البخاري.

وما في البخاري موجود أيضًا عند ابن جُريج، وابن أبي عَروبة، وعند معمر بن راشد، وعبدِ الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، والأوزاعي، والثوري، وحماد بن سلمة بن دينار، والإمام الزُّهْري شيخ مالك، فما في البخاري موجود عند هؤلاء وكل هؤلاء دوَّنوا الحديث قبل البخاري.

إذن لا يوجد حديث عند البخاري إلا ويمكنك أن تعرف سنده من غير طريق البخاري.

قال الإمام مسلم يومًا للبخاري: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلُك، وقال له بعد أن قبَّل ما بين عينيه: دَعْني أُقَبِّلُ رِجْلَيْكَ يا طِبيبَ الحديثِ في عِلَلِهِ، ويا أُستاذَ الأُستَاذِينَ، ويا سَيِّدَ الـمُحدِّثينَ»[١].

فالبخاري هو أمير المؤمنين في الحديث، وقد اختار أقوى الطرق لأغلب ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث، فبعد أن أتقَنَ كل الأحاديث أخرج صحيحه، قال الحافظ أبو العباس الفضل بن العباس: جَهَدْتُ كلَّ الجَهْدِ على أنْ آتيَ بحديثٍ لا يعرفه البخاريُّ، فما أمكنني[٢].

وقال الإمام ابن خزيمة: ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلَمَ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفَظَ له مِن محمد بن إسماعيل[٣].

(١) المدخل إلى علم السنن، البيهقي ١/ ٢٦٨.

(٢) فتح الباري ١/ ٤٨٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٢/ ٤٣١.

ولما سمع أهل بغداد بحِفظ البخاري ودقَّتِهِ، أرادوا امتحانَهُ، فعمدوا إلى مائة حديثٍ، فقلبوا متونها وأسانيدَها، وجعلوا متنَ هذا لإسناد هذا، وإسنادَ هذا لمتن ذاك... مائة حديث قَلَبوا أسانيدها، فصار سند الحديث الرابع مثلًا مكان سند الحديث الخامس عشر وسند الحديث الثالث والأربعين مكان سند الحديث التاسع والخمسين وهكذا.

ودفعوا إلى كلِّ واحدٍ عشرةَ أحاديث ليُلْقوها عليه في المجلس.

فجاء الطلاب، واجتمع الناس، وبدأ الطالب الأول يقرأ السند، ثم قرأ الحديث فقال البخاري: لا أعرفه.

ثم قرأ الثاني، وقال البخاري: لا أعرفه.

وهكذا في كل حديث.

فتعجَّب الناس!

أنه لا يعرف أيَّ حديث!

لكن الفقهاء الذي قاموا بالاختبار التفت بعضهم لبعض وقالوا: الرجل فَهِمَ -أدرك الحيلة.

فلما فرغ الطلاب من إلقاء المائة حديثٍ، والبخاري يقول لكل حديث: لا أعرفه.

بعد انتهائهم التفت البخاريُّ إلى الأول، فقال: «أمَّا حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني كذا... إلى آخر العشرة؛ فردَّ كلَّ متنٍ إلى إسناده، وفعل بالثاني مثلَ ذلك إلى أن فرغ»، فأقرَّ له الناسُ بالحفظ والضَّبط والإتقان.

لقد قام البخاري بآية عجيبة في هذا المجلس؛ إذ ردَّ كل سندٍ لكل حديث بترتيبه.

فقال للأول على سبيل المثال: حديث الأول سنده عند الحديث الثامن والثلاثين، وحديثك الثاني سنده عند الحديث الرابع والأربعين، وهكذا إلى تمام المئة.

قال الحافظ ابن حجر في هذه الواقعة العجيبة: «ليس العجب من ردِّهِ الخطأ إلى الصواب؛ فإنه كان حافظًا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما أَلْقَوْهُ عليه من مرة واحدة»(١).

لقد كان البخاري آيةً من الله عزَّ وجلَّ.

قال رجاء بن مُرَجَّى: «هو آية من آيات الله يمشي على الأرض»(٢).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ١/ ٤٨٦.

(٢) البداية والنهاية، م١٤ ص ٥٣٠.

# فهرس

**مقدمة**............................................................................... ٣

**١- ما هو فكر التنوير؟**.......................................................... ٣

٢- ما هو التنوير المطلوب؟ ........................................................ ٢٦

٣- مَن هم منكرو السُّنة؟ .......................................................... ٢٨

٤- ما هي منزلة السُّنة في الإسلام؟ ............................................... ٣٦

٥- هل السُّنة كلُّها مكتوبة؟ ....................................................... ٤٧

٦- هل تأخَّر تدوين السُّنة النبوية لـ ٢٠٠ سنة كاملة حتى جاء البخاري؟ . ٦١

٧- لماذا يهاجم دعاة حركة التنوير الصحابة؟ ................................... ٧٤

٨- ما معنى حديث الآحاد، وما الفرق بينه وبين الحديث المتواتر؟....... ٨٣

٩- ما هي الإشكالات العقلية التي تواجه منكري السُّنة؟ .................... ٩٦

١٠- لكن الله -عزَّ وجلَّ- يقول: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ﴾ فالقرآن فيه كل شيء،............................................................................ ١٠٨

١١- كيف تؤمنون بعذاب القبر وعذاب القبر لم يرد في القرآن؟ ....... ١١٢

١٢- ما سرُّ الأحاديث الكثيرة التي رواها أبو هريرة؟...................... ١١٥

١٣- هل هناك أحاديث تفرَّد البخاري بها في صحيحه؟................. ١٢٠